ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal For Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

Researcher: Asst. Lect. Ali Saad Kareem Hasan

Wasit University / College of Arts / Postgraduate Studies Department

---

*** Corresponding Author Email:**
Gmail.com @947alisaadk

Keywords:
novel, death, grief, bullying, theft

Article history:
Received: 15 May, 2024
Accepted: 9 June, 2024
Available online: 30 Aug. 2024

CC BY

Representation of Sorrow in the Novel "The Stone of Happiness" by Azhar Georges: A Psycho-narrative Study

A B S T R A C T

The novelist Girgis achieved the maximum in his novel From the Space of Sorrow, as he placed his of young hero, Kamal Touma, in a circle misfortunes and tragedies by losing his dear brother Raymond in a painful circumstance, which gave the novel its dramatic and human character. Through this narrative passage, those tragedies were clearly d highlighted to us, from the drowning of the chil Raymond and the state of panic and despair that Kamal Touma experienced while trying to save his brother, as well as the accusation of the stepmother for killing Raymond. The novelist expressed the state of shock and grief that befell Kamal Touma Questions also emerged about the fate of .later Raymond's body and the wait for the father's return. Thus, we find that the novelist has succeeded in drawing an atmosphere of sorrow and suffering around the heroic child. The novelist also explains is more like a deceptive operation, as that murder Kamal kills Touma without noticing him, and he dies a treacherous death. Perhaps the novelist did not want to mention treachery here because it contains two elements: The first is fooling the rom behind him or lying in victim, such as coming f wait for him. The second was luring him to capture him in an isolated place. Kamal Touma did not want to die murdered, but rather he believed that death was a natural right, and that he must die peacefully .sassinationwithout violence or as

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.593

تمثُّلاتُ الآسى فِي رِوايةِ حجرِ السّعادةِ لِأزهرِ جِرجِيس
دِراسة سايكُو سردِيّة

م. م. علي سعد كريم حسن
جامعة واسط ـ كلية الآداب ـ شعبة الدراسات العليا

المُلخّص:
نال الرِّوائِيُّ جِرجِيسُ فِي رِوايتِهِ مِن حيّزِ الآسى أقصى قدر، إذ أوقع بطلهُ الصّغِيرُ كمالُ تُوما فِي دائِرةِ المصائِبِ والمآسِي بِفقدِ أخِيهِ العزِيزِ رِيمُون بِظرف مُؤلِم، وهُو ما أكسب الرِّواية سمّتها الدِّرامِيّة والإنسانِيّة. وقد برز لنا مِن خِلالِ هذا المقطعِ السّردِيِّ تِلك المآسِي بِوُضُوح، مِن غرقِ الطِّفلِ رِيمُون وحالةِ الذُّعرِ واليأسِ الّتِي عاشها كمالُ تُوما أثناء مُحاولتِهِ إنقاذ أخِيهِ، فضلًا عن اتِّهامِ زوجةِ الأبِ بِتُهمةِ قتلِ رِيمُون. وقد عبّر الرِّوائِيُّ عن حالةِ الصّدمةِ والأسى الّتِي أصابت كمال تُوما فِي ما بعدُ. كما برزت ملامِحُ التّساؤُلِ حول مصِيرِ جُثّةِ رِيمُون وانتِظارِ عودةِ الأبِ. وبِذلِك نجِدُ أنّ الرِّوائِيّ قد نجح فِي رسمِ جوّ مِن الأسى والمُعاناةِ حول الطِّفلِ البطلِ، وايضًا الرِّوائِيِّ يُوضِّحُ أنّ القتل هُو أشبهُ بِعملِيّة خادِعة، حيثُ يُقتلُ كمالُ تُوما دُون أن يُلاحظ، فيمُوتُ ميتة غدر. رُبّما الرِّوائِيُّ لم يكُن يُرِيدُ ذِكر الغدرِ هُنا لِاحتِوائِهِ على رُكنينِ: الأوّلُ هُو استِغفالُ الضّحِيّةِ، كأن يأتِيهُ مِن ورائِهِ أو يكمُن لهُ. أمّا الثّانِي فهُو استِدراجُهُ لِلإيقاعِ بِهِ فِي مكان معزُول، فلم يكُن كمالُ تُوما يرغبُ فِي أن يمُوت مقتُولًا، بل هُو مُؤمِن بِأنّ الموت حقّ طبِيعِيّ، وأنّهُ يجِبُ أن يمُوت بِطرِيقة سِلمِيّة دُون عُنف أو اغتِيال.
الكلِماتُ المِفتاحِيّةُ : الرِّوايةُ، الموتُ، الآسى، التّنمُّرُ، السّرِقة .

المُقدِّمة :

أنّ الحياة المأساوِيّة والسّرد كِيانانِ مُنفصِلانِ لهُما قواعِدُ و طبِيعتانِ مُختلِفتانِ. الحياةُ المأساوِيّةُ تعاشُ بِطرِيقة غيرِ واعِية فِي كثِير مِن الأحيانِ، بينما القِصّةُ تُروى وتتطلّبُ عملِيّة انتِقاء وتنظِيم لِلأحداثِ، مع ذلِك، لا ينبغِي أن نُنكِر دور الخيالِ والسّردِ فِي صُنعِ الحياةِ وإعطائِها معنًى. فبِالرّغمِ مِن أنّنا لا نعِيشُ حياتنا على شكلِ قِصّة مروِيّة، إلّا أنّنا نلجأُ إلى السّردِ لِفهمِها وإدراكِها. والسّردُ يُساعِدُنا على التّأمُّلِ والتّعلُّمِ مِن تجارِبِ الآخرِين، يقُولُ بُول رِيكُور "إنّ كون الحياةِ ذات صِلة

بِالسّردِ أمر كان معرُوفًا دائِمًا، وقد تكرّر قولُهُ كثِيرًا، فنحنُ نتحدّثُ عن قِصّةِ حياة لِنصفِ التّواشُجِ بين المِيلادِ والموتِ. مع ذلِك، فإنّ المُماثلة بين الحياةِ والقِصّةِ ليست واضِحةً فِي الواقِعِ، ولا بُدّ مِن وضعِها تحت طائِلةِ الشّكِّ النّقدِيِّ. وهذا الشّكُّ هُو عملُ كُلِّ المعرِفةِ الّتِي استحصلتها العُقُودُ القلِيلةُ الماضِيةُ حول السّردِ، وهِي معرِفة يبدُو أنّها تفصِلُ السّرد عن التّجرِبةِ المعِيشةِ، وتقصُرُهُ على مِنطقةِ الخيالِ. سنمضِي، أوّلًا، لِاختِراقِ هذِهِ المِنطقةِ النّقدِيّةِ ونسعى لِإعادةِ التّفكِيرِ بِطرِيقة أُخرى فِي هذِهِ العلاقةِ المُسرّفةِ فِي التّبسِيطِ والمُباشرةِ بين التّارِيخِ والحياةِ، تِلك الطّرِيقةُ الّتِي يُسهِمُ فِيها الخيالُ فِي صُنعِ الحياةِ، بِالمعنى البيُولُوجِيِّ لِلكلِمةِ أي الحياةِ الإنسانِيّةِ. أُرِيدُ أن أُطبِّق على العلاقةِ بين السّردِ والحياةِ حِكمةُ سُقراط القائِلةِ إنّ الحياة بِلا عناء لا تستحِقُّ أن تُعاش.سأتّخِذُ نُقطة بدء لِي حِين أدنُو مِن مِنطقةِ هذا النّقدِ مُلاحظة أحدِ الشُّرّاحِ: القِصصُ تُروى ولا تعاشُ الحياةُ تعاشُ ولا تُروى. و لِتوضِيحِ هذِهِ العلاقةِ بين العيشِ والسّردِ أقترِحُ أن نبدأ أوّلًا بِفحصِ فِعلِ القصّ نفسِهِ" (بُول رِيكُور، ١٩٩٩،٣٩).

السّردُ هُو وسِيلة لِتوصِيلِ القِصصِ والتّجارِبِ لِلآخرِين، ويُمكِنُ أن يُفهم على أنّهُ تركِيبة تتضمّنُ بِدايةً ووسط ونِهاية، تتكوّنُ مِن أحداث وشخصِيّات ومغزًى، ومِن الواضِحِ أنّ هُناك تعقِيدات فِي تشبِيهِ الحياةِ بِالسّردِ، فالحياةُ المأساوِيّةُ أكثرُ تعقِيداً وغُمُوضاً مِن أيِّ قِصّة يُمكِنُ أن نروِيها. الحياةُ المأساوِيّةُ تحتوِي على أبعاد عاطِفِيّة ورُوحِيّة وجسدِيّة لا يُمكِنُ تقدِيرُها بِالكامِلِ مِن خِلالِ السّردِ وحدهُ، إذا كان الشّكُّ النّقدِيُّ يُحِيطُ بِتِلك العلاقةِ بين الحياةِ والسّردِ، فقد يكُونُ ذلِك فُرصةً لِفهم أعمق لِكُلّ مِنهُما. رُبّما يكُونُ مِن المُفِيدِ أن ننظُر إلى الحياةِ نفسِها كجُزء مِن رِحلة سردِيّة أو كِتاب مفتُوح يتطوّرُ ويتغيّرُ مع كُلِّ حدث وتجرِبة نمُرُّ بِها، التّشابُهُ بين الحياةِ والسّردِ يُمكِنُ أن يكُون مصدر إلهام وفهم أعمق لِلحياةِ تجارِبنا ثُمّ نُبيِّنُ بدء الحبكةِ عن طرِيقِ إيجادِ قِصّة واحِدة مِن أحداث مُتعدِّدة وهُو ما صنعهُ الرِّوائِيُّ أزهرُ جرجِيس بعد سردِهِ لِقِصّةِ كمالِ ثُوما اعتِماداً على الأحداثِ المُتعدِّدةِ المُنضوِيةِ فِي متنِ الرِّوايةِ، ومِن هُنا ارتكز بحثُنا على مُستوى الفهمِ السّردِيِّ عن طرِيقِ تحلِيلِ مُخرجاتِ هذِهِ الرِّوايةِ .

<u>الموتُ الصّاخِبُ:</u>

ابتدأ الرِّوائِيُّ رِوايتهُ بِاستِباقِ حدث مُثِير ترك فِينا الرّغبة لِمعرِفةِ كيف وصل بِهِ هُناك، إذ طوّقهُ الرِّوائِيُّ ثُمّ جعلهُ ثابِتًا لِنُقرِّر نحنُ فِيما بعدُ قُدرة الرِّوائِيِّ على الإجادةِ أم لا. بطلُ الرِّوايةِ هُو الشّخصِيّةُ الرّئِيسِيّةُ نفسُها (كمالُ ثُوما) يقُولُ "أنا مِثلُكُم لا أعرِفُ هذا ابن الحرامِ، ولا الأسباب المُوجِبة لِقتلِي. وحتّى اليومُ الّذِي سبق ظُهُورُهُ أمامِي كُنتُ أظُنُّ بِأنّي سأحظى بِموت هادِئ فوق السّرِيرِ دُون أن تمُوء لِأجلِي قطّةً. لم أكُن أعلمُ بِأنّ نِهايتِي ستكُونُ صاخِبةً، وحياتِي الّتِي طالما

ظننتُها أتفهُ مِن رمادِ السِجائرِ مُهِمّةً إلى حدِّ التّربُّصِ بِها والرّغبةُ فِي سلبِها". (جِرجِيسُ، ٧، ٢٠٢٢).

حرص الرِّوائِيُّ على بيانِ إدراكِ كمالِ تُوما لِلموتِ فِي هذا النّصِّ، إذ عدّهُ المصِيرُ المحتُومُ الّذِي يتربّصُ بِهِ على هيئةِ موت هادِئ فوق سرِير. هذا الإدراكُ الصِّفةُ الّتِي جعلها الرِّوائِيُّ مُلازِمةً لِلشّخصِيّةِ الرّئِيسِيّةِ، إذ اندمجت مع الأحداثِ اندِماجًا جعل مِن الرِّوائِيِّ نفسِهِ مُنشغِلاً بِكيفِيّةِ التّوغُّلِ فِي ذاتِ الشّخصِيّةِ مُحاوِلاً مُلامسة الواقِعِ العِراقِيِّ بِوضعِ قاتِلٍ مأجُور لِيقتُل كمال تُوما وهُو ما يُمثِّلُ سرداً نفسِيًّا والّذِي يُعتبرُ " هُو العرضُ النّصِّيُّ لِحالاتِ عملِيّاتِ وعيِ الشّخصِيّةِ ولا وعيها وتحدِيداً بِتوظِيفِ أشكالِ التّقرِيرِ السّردِيِّ لِلخِطابِ أو الإدراكِ الحِسِّيِّ المسرُودِ والحالةُ المُختلفِ عليها هِي ، تقرِيرُ ما لا تعرِفُهُ الشّخصِيّاتُ أو تُفكِّرُ فِيهِ أو تقُولُهُ " (مانفرِيد، ١٥٢) . والّذِي بِدورِهِ قدّم حقِيقةً تارِيخِيّةً لا تزالُ تُؤدِّي دورها مُتمثِّلةً بِأنّ الحدِيث غير المُجدِي قد يُؤدِّي بِالنّفسِ لِلتّهلُكةِ والفِناءِ.

كان ذلِك بعد أن أخبر جارهُ بِأنّهُ قد تصوّر الفتاة الّتِي اختفت أو بِالأحرى اختُطِفت على يدِ جماعة مُسلّحة، إذ قام الأخِيرُ بِالإبلاغِ عمّن يملِكُ صُور الجماعةِ وأنّهُ سيقُومُ بِفضحِهِم لِيُقرِّرُوا اغتِيال كمالِ تُوما، هُو لم يُدرِك أهمِّيّتهُ إلّا بعد هذا الاغتِيالِ، فهُو لم يكُن فِي يوم مِن الأيّامِ يعتقِدُ أنّ حياتهُ ستكُونُ صاخِبةً، فالموتُ هُو "إنّ موت الموجُودِ الإنسانِيِّ هُو الإمكانِيّةُ القُصوى الّتِي تستحِيلُ معها كُلُّ إمكانِيّة أُخرى. ومِن ثمّ فإنّ الموت يكشِفُ عن كُلِّيّةِ هذا الموجُودِ بِوصفِهِ كلًّا". (سُليمان، ١٨٥،٢٠٠٩).

<u>مأساةُ كمال:</u>

هذا الوُجُودُ الكُلِّيُّ لِلموتِ قد أجاد ربطهُ الرِّوائِيّ على أخِ كمالِ تُوما وهُو رِيمُونُ (أخِيهِ مِن زوجةِ أبِيهِ)، والّذِي شكل موتهُ لِكمالِ محطّة مِن الآسى سيبقى يذكُرُها كُلّما مرّ على نهرِ دِجلة. "لقد انزلق رِيمُونُ فِي النّهرِ وغرِق، فتوقّف العِراكُ وعافت المخالِبُ لحمُ الفرِيسةُ، قفزتُ خلفهُ. لم أُفكِّر حِينها بِأنّي لا أُجِيدُ السِّباحة بِما يكفِي لِانقاذِ غرِيق، فعِند الفاجِعةِ يغدُو التّفكِيرُ ضربًا مِن البطرِ"، رمِيتُ نفسِي فِي الماءِ وبدلًا مِن إنقاذِ أخِي، غرقنا معًا، وثبّ علِمنا شابّ كان يمُرُّ قرِيبًا مِن الجرفِ أمسك بِي وجذبنِي خارِج الماءِ، ثُمّ عاد لِإتمامِ المُهِمّةِ، كان سهل على شابّ بالِغ إنقاذُ طِفل صغِير مِن الغرقِ، إلّا أنّ القدر أحكامُهُ كما يبدُو، فقد اختفى الطِّفلُ تمامًا وغاب عن الأنظارِ.... اجتاحنِي موجُ الذُّهُولِ وأنا أشهدُ غُرق أخِي. " (جِرجِيس، ٤٥، ٢٠٢٢).

أنّ ترمِيز الرِّوائِيِّ لِلموتِ مُتّخذًا مِن الغرقِ وسِيلةً رمزِيّةً لِلفِناءِ والنِّهايةِ، بل قام بِوضعِ كمالِ تُوما فِي مأساة، بل ليست مأساةً واحِدةً بل مآس مُتعدِّدة:

المأساةُ الأُولى: هُو اتِّهامُ زوجةِ أبيهِ لهُ بِأنّهُ من قتلِ ريمُون على الرّغمِ مِن تحذِيرِها لِكمال بِعدمِ أخذِهِ معها، لكِنّ الأخ الصّغِير أصرّ عليهِ. فبقِيت الأُمُّ تُنادِي بِإسمِ كمال وتتّهِمُهُ بِقتلِهِ.

المأساةُ الثّانِيةُ: تمثّلت فِي الغرقِ بِما تحمِلُهُ مِن دِراما مُعمّقة لِحالةِ التّهدِيدِ لِلحياةِ، إذ نهرُ دِجلة عُرِف عنهُ أخذُهُ لِلأرواحِ الشّابّةِ وقد استغلّها الرِّوائِيُّ بِناءً على ذاكِرتِهِ الّتِي أبرزت حالة التّقاطُعِ الإنسانِيِّ مِن جِهة ورِوايتِهِ مِن جِهة أُخرى فضلًا عن ذلِك جعل الرِّوائِيِّ كمالُ ثُوما يعِيشُ حالة الذُّهُولِ والخطرِ والوحدةِ وهُو يُحاوِلُ إنقاذ أخِيهِ لكِنّهُ يصدِمُ بِأنّ النّهر أخذ أخاهُ وانتهى الأمرُ بِالغرقِ.هذِهِ المآسِي تُركت كمال فِي حيرة مِن أمرِهِ فهُو لم يستطِع التّشبُّث بِأملِ إنقاذِ أخِيهِ والبحثِ عن وسِيلةِ نجاة، وإمكانِيّاتِهِ ثُمّ لم يدُور فِي ذِهنِ كمالُ ثُوما غير سُؤال واحِد كان عن نهرِ دِجلة "طويت جسدِي واختبأتُ تحت الشُّرشُفِ المُعفرِ برائِحةِ الموتِ، وفِي رأسِيّ يدُورُ سُؤال؛ ما بالُ دِجلة والصِّغارِ؟! هل تُحِبُّ الاِحتِفاظُ بِهِم إلى هذا الحدُّ؟! أم هُو الخوفُ عليهِم مِن أنّ تلوُّث الأيّامِ براءتُهُم؟! حاولت اجتِياز عتبةُ التّفكِيرِ علنِيّ أتعلّقُ بِأذيالِ النّومِ ولو قلِيلًا، لكِن دُون جدوى، فأنا لم أتخلّص بعدُ مِن طيفِ ريمُون الّذِي ما فتِئ يُؤرِّقُنِي، وهأنذا أُجاوِرُ طِيف غرِيق آخرُ قد! أليس هذا كثِيرًا يا ربِّ؟! احتضنتُ خاصِرتِي وبقِيتُ مُستيقِظًا حتى قرُقعةُ البابِ ودُخُولُ العمِّ خلِيل فِي الصّباحِ. (جرجيس، ١٢٧، ٢٠٢٢).

يُعطِي النّصُّ ماذا بِإمكانِ الإنسانِ فِعلهُ تُجاه الأسئِلةِ الّتِي تدُورُ حول نهرِ دِجلة ما بين حُبِّهِ لِلأطفالِ أو خوفًا مِن تلوُّثِ برائتِهِم بِمُرُورِ الأيّامِ، إذ انتهى أمرُ ريمُون بِالغرقِ وتحدّث الرِّوائِيُّ عن هذِهِ الحادِثةِ وربطها بِنهرِ دِجلة لِيبعث لدينا رِسالةً مُفادُها أنّهُ لا غرابة فِي أن يكُون هذا النّهرُ هُو بِداية الآسى لِحياةِ كمالِ ثُوما ثُمّ سعيُ الرِّوائِيِّ لِتصوِيرِ المصِيرِ الّذِي تؤُولُ إلِيهِ حياتُهُ ولا سِيّما أنّهُ افتتح بِداياتِهِ نشأتهُ بِموتِ وغرقِ أخِيهِ نتِيجة الإهمالِ مِن قِبلِ كمالِ ثُوما وأيضًا، أنّ هذا الطِّفل ريمُون قد جسّد حالة الآسى الّذِي كان سببًا فِي مُعاناةِ كمالِ ثُوما إذ كان طِيفُ ريمُون يلحقُهُ كُلّما مرّ على نهرِ دِجلة ما جعلهُ يعِيشُ النّدم القاسِي.

العِشقُ المأساوِيُّ:

نُلاحِظُ كمال ثُوما وهُو يرفُضُ أن يكُون تِذكارُ ميِّت (ابنِ العمِّ خلِيل) الّذِي مات وهُو فِي نفسِ عُمر كمالِ ثُوما، فأحضر الأخِيرُ مِن المُستشفى بعد أن استأصل الأطِبّاءُ كُلِّيّتهُ الّتِي تعرّضت لِضربةِ سِكِّين بِواسِطةِ سِكِير. فما كان مِن كمالِ ثُوما إلّا أن يقبل بِأن يعِيش مع العمِّ خلِيل، إذ عرض علِيهِ العملُ لديهِ كمُساعِد فِي استِديُو التّصوِيرِ لكِنّ الأخِير رفض ثُمّ أعاد علِيهِ الأمر لِيُفكِّر فِيما بينهُ وبين نفسِهِ عن حجمِ الآسى الّذِي مرّ علِيهِ لكِن بادِئ المعنى خطر على بالِهِ أنّهُ لا يُرِيدُ أن يكُون تِذكار ميِّت. "فِي الواقِعِ، أنا وإن كُنتُ لا أرغبُ بِأن أكُون تِذكار موتًى، إلّا أنّها ليست

مِهنةً مُخِلّةً بِالشّرفِ على أيّةِ حال. رجُل يرى ابنهُ حِين يرانِي، أين المُشكِلةُ؟ أمّا العِمالةُ تحت يدِ الآخرِين فلا تستوجِبُ الذِّلّة على الدّوامِ. ليس كُلُّ النّاسِ على شاكِلةِ مولانا الخسِيسِ. العمُّ خلِيل شخص طيِّب بِدُونِ فلاتِر، فلا مُسبِّحة فِي يدِهِ ولا تمائِم تسرِي على شفتيهِ، كما أنّهُ لا يُجِيدُ اللّفّ والدّوران. حمداً لِلّهِ أنّنِي لم أرتكِب حماقة الرّفضِ، سِيّما وأنّ التّشرُّد عمل شاقّ فِي هذِهِ المدِينةِ. جلستُ على الكُرسِيِّ النّحِيلِ وكأنّنِي أسترِيحُ لِجذبِ أنفاسِي مِن رِحلة مُضنِية، وقرّرتُ العُدُول عن فِكرةِ الرّحِيلِ" (جرجِيس، ٢٠٢٢،١٣٣).

النّصّ أوضح فِكرة عدمِ تركِ مصِيرِ الإنسانِ الشّخصِيِّ مُبهمًاً دُون تحدِيد وهُو مِن صِفاتِ التّفرِيدِ الّتِي أراد الرِّوائِيُّ بِناء شخصِيّةِ كمالِ تُوما إِذ خصّهُ" بِمجمُوعة مِن الصِّفاتِ لا تملِكُها الشّخصِيّاتُ الأُخرى، أو تملُّكُها بِدرجة أقلّ، فأنّهُ يجعلُ شخصِيّة البطلِ مُتفرِّدةً بِهذِهِ الصِّفاتِ" (مُحمّدُ بُوعزّة، ٢٠١٠،٥٠)، أنّ موت ابنِ العمِّ خلِيل كان سبباً فِي إِيواءِ كمالِ تُوما المُتشرِّدِ والّتِي لم يجِد فِي حياتِهِ قلباً عطُوفاً مِثل العمِّ خلِيل، كأنّ موت هذا الابنِ جُعِل مِن كمالِ تُوما مهمًّاً لِهذِهِ العائِلةِ الصّغِيرةِ والّتِي لو أعطينا لها المعنى الأُنطُولُوجِيّ الخاصّ بِمِصداقِيّةِ المشاعِرِ لرأينا حجم التّأثِيرِ الشّخصِيِّ الظّاهِرِ لِلعمِّ خلِيل وزوجتِهِ إِذ يكفِي عرضُ العمِّ على كمالِ تُوما العمل لديهِ ومُساعدتِهُ فِي أُمُورِ الاستِديُو مِن التّنظِيفِ وغيرِهِ وقد وجد كمالُ تُوما أنّ ذلِك أفضلُ لهُ مِن حياةِ التّشرُّدِ.وعلى هذا النّحوِ قام كمالُ تُوما بِتعزِيةِ نفسِهِ كونهُ قد حلّ محلّ الابنِ الميِّتِ والّذِي ما يبرحُ طيفُهُ أن يزُورهُ لعلّهُ لا تُوجدُ راحة عِند هذا الطِّفلِ حتّى فِي نومِهِ، إِذ الهربُ مِن الموتِ كان بِدايتُهُ ثُمّ استِبعادُهُ هذِهِ الفِكرة إِذ هِي تُعدُّ فِي النّاحِيةِ السّيكُولُوجِيّةِ فِكرةً مُثبِّطةً لِلعزِيمةِ، إِذ يفتقِرُ كمالُ تُوما إِلى الشّجاعةِ خوفاً مِن العودةِ لِحياةِ التّشرُّدِ ومُواكبةِ الآسى مِن جدِيد أو النّومِ فِي البردِ أو التّعرُّضِ لِلطّعنِ مرّةً أُخرى مِن قِبلِ سِكِّير آخر، لِيصِل فِي النِّهايةِ إِلى القبُولِ، إِذ لا يحِلُّ محلُّهُ أحد عليهِ الأخذُ بِخِناقِ نفسِهِ ويضعُ نفسهُ محلّ هذا الابنِ الميِّتِ، فِي النِّهايةِ الموت سيأتِي لكِنّهُ مُتعلِّق بِضرُورةِ مِيتافِيزِيقِيّة هِي فِي وقت واحِد أكثرُ الأشياءِ خاصّيّةً واعِمُها. يُبيِّنُ الرِّوائِيُّ معنى الأسى بِصُورةِ الانتِظارِ إِذ اصبح اليأسُ ينهشُ تفكِير كمالِ تُوما لِرغبتِهِ فِي الزّواجِ مِن الفتاةِ الّتِي يُحبُّها ، وفِي هذا التّوجُّهِ تظهرُ نصِيحةُ العمِّ خلِيل لِلعلنِ " لو تسمعُ كلامِي، لقُلتُ لك أترُك الفتاة وشأنها.أقُولُ لك بِأنِّي أمُوتُ لو تركتُها؟ لِماذا لا تُصدِّقنِي؟ نفخ هواءً ساخِنًا وعقِب: إِذن، انتظِر، ليس لك سِوى الانتِظارِ. إِلى متى ؟لا أدرِي، لكِن عليك أن تنتظِر وانتظرت".(جرجيس، ٢٠٢٢،١٧٤).

أعطى النّصّ ثِيمة العِشقِ الّذِي يكُونُ انتِظارُهُ صعباً انتِظارُهُ مُمِيتًاً، فالإنسانُ مجمُوعة مِن المشاعِرِ قد تتخلّلُها الاضطِراباتُ إِن تداخلت هذِهِ المشاعِرُ مع العِشقِ وهُو ما عاشهُ كمالُ تُوما مع هذِهِ الفتاةِ والّتِي كانت ابنة صدِيقِ العمِّ خلِيل وهُو مُصوِّر فُوتُوغرافِيّ أيضًاً، الطّابعُ العامُّ لِلنّصِّ لم يُعطِ

الحقّ لِكمالِ ثُوما فِي طلبِهِ مِن العمِّ خلِيل بِأن يتدخّل معنوِيًّاً فِي التّأثِيرِ على صدِيقِهِ لِلمُوافقةِ عليهِ ولا سِيّما أنّ كمال ثُوما لا أهل لهُ سِوى العمِّ خلِيل مِن جانِب، ومِن جانِب آخر التّفاعُلُ الغرائِزِيُّ الشّدِيدُ المُتمثِّلُ بِعِشقِهِ لِهذِهِ الفتاةِ تدفعُهُ لِلتّفكِيرِ فِي الاِنتِحارِ وهُو ما زاد مِن غُمُوضِ هذا التّصرُّفِ.إذ جُعِل مِن العمِّ خلِيل يُطلُبُ مِنهُ أن ينتظِر ونحنُ نعلمُ صُعُوبة الاِنتِظارِ بِالنِّسبةِ لِشابّ فِي مُقتبلِ العُمرِ وهُو عاشِق لِفتاة فِي مِثلِ عُمرِهِ، العِشقُ هُو الجُنُونُ إذ نادِرًا ما يتعافى الشّبابُ مِن حالاتِ الجُنُونِ والّتِي تُرافِقُها آثارُ الخوفِ والقلقِ وغيرُها مِن السّلبِيّاتِ الّتِي حرص الرِّوائِيُّ على إضافتِها فِي أحداثِ الرِّوايةِ لِتغرِس فِينا بُذُور الدّلالاتِ الّتِي تختصُّ بِالموتِ عن طرِيقِ كمالِ ثُوما الّذِي وأن التقى بِها عن طرِيقِ القدرِ بعد أن جاءت لِتأخُذ لِنفسِها صُورةً فُوتُوغرافِيّةً وبدء اعِّجابِهِ بِها ومِن ثمّ تعلُّقُهُ ولكِنّهُ عشِقها ولم يعُد بِوُسعِهِ الاِنتِظارُ على رُؤيتِها وهِي تتزوّجُ وتذهبُ بِيدِ رجُل آخر وهُو ما حصل فِيما بعدُ.

لقد لاحظنا أنّ مِن عادةِ الرِّوائِيِّ هُنا أنّهُ يُشكِّلُ الأفكار ومِن ثمّ يضبِطُ إِيقاعُ النّصِّ والمقصُودُ (إِيقاعُهُ السّردِيُّ)، ثُمّ يقُومُ بِتخيُّلِ شُخُوصِهِ وتخيُّلِ سردِهِ، ولن استغرب هاهُنا إن كانت أغلبُ كِتاباتِهِ مُوغّلةً فِي الواقِعِ المأساوِيِّ العِراقِيِّ، "إذ نجِدُ داخِل النّصّ ارتِحالات سردِيّةً تخرُقُ نمطِيّة صيرُورتِهِ كحكي". (بُوعِزةُ، ٢٠١٦،٢٦٥).

<u>الآسى العوِيلُ :</u>

أنّ هذِهِ الرِّواية ستكُونُ حلقةً تارِيخِيّةً مُميّزةً فِي السّردِ الرِّوائِيِّ العِراقِيِّ وشاهِدةً على مسِيرةِ العِراقِ الاِجتِماعِيّةِ ومُدوّنة لِذاتِ الشّخصِيّةِ العِراقِيّةِ الجرِيحةِ، وايضاً لِفوضى الدّمِ والصّدماتِ والتّجارِبِ المأساوِيّةِ حتّى أدّت إلى جعلِ الرِّوائِيِّ يخرُجُ بِسردِهِ مِن السّردِ الجمالِيِّ إلى السّردِ الفجائِعِيِّ.

أنّ مُستوى التّحوُّلِ الفِكرِيِّ فِي الرِّوايةِ جاء لِيضع مشاعِر الفقدِ إلى جانِبِ مشاعِرِ اليُتمِ والوحدةِ الّتِي عانت مِنها الشّخصِيّةُ الرّئِيسِيّةُ فِي الرِّوايةِ وما زاد عن ذلِك تلقِّي كمالِ ثُوما نبأ وفاةِ العمِّ خلِيل إذ يصِفُ لنا الموقِف آنذاك"فِي البابِ الشّرقِيِّ، حيثُ الأرصِفةُ المفرُوشةُ بِالبضائِعِ وزِحامِ الأرجُلِ بين نِداءاتِ الباعةِ وخِفّةِ النّشّالِين، سقط العمُّ خلِيل صرِيعًا دُون إِنذار مُسبق. كان خبرُ موتِهِ بِالنِّسبةِ لِي بِمثابةِ وُقُوعِ صخرة على هامّةِ فأر مذعُور. وصلت المشفى فزعًا ووُقفت على بابِ ثلّاجةِ الموتى باكِيًا ولِسانِي يُطلقُ عوِيلًا يعزّ على الآخرِين فهمُهُ، أمّا رأسِي فكان ينُوءُ بِوجع غرِيب. اقترب مِنِّي آنذاك مُوظّف، على جبِينِهِ أثر واضِح لِلسُّجُودِ، حوقل مرّتينِ أو ثلاثًا مُذكّرًا بِأنّا لِلّهِ وأنا إِليهِ راجِعُون، ثُمّ قال بِصوت مُطمئِن يُناسِبُ الإِدلاء بِالوعظِ والنّصِيحةِ: يرحمُهُ، ادعُ لهُ بدل أن تبكِي، البُكاءُ لا ينفعُ الموتى". (جرجيس، ٢٠٢٢،١٩٩).

قدّم الرّوائيُّ لنا النّصّ بِصُورة مُفكّكة ومُتشظّية إذ أظهر تشظّي ذاتِ الشّخصيّةِ بعد عِلمِهِ بِوفاةِ العمّ خلِيل، مِمّا خُلق فِي ذاتِهِ قلق واضطِراب سُرعان ما أدّت إلى فِقدانِ زِمامِ إدراكِهِ بِالأُمُورِ إذا بكى وذرفِ الدُّمُوعِ، نتِيجة ألمِهِ بِفقدِ العمّ خلِيل، أنّ فِسيُولُوجيا الدُّمُوعِ الّتِي ذرفها كمالُ تُوما تُعطِي فائِق مِن الشُّعُورِ سواء حزنهُ على العمّ خلِيل أوِ الألمِ مِن وحدتِهِ الّتِي ستعُودُ إليهِ مِن جدِيد، أيُّ مزِيج مِن هذينِ الاثنين.

لقد تناول النّصّ وصف حالة الموتِ الّتِي انصعق بِها كمال وارفُق معها صِفاتِ(الفزعُ، والبُكاءِ، والعوِيلُ) هِي صِفات تُلائِمُ أهل وأصدِقاء المُتوفّى، هذا الموقِفُ حِين نقرأُهُ نتذكّرُ كيف أنّ الرّوائِيّ عبّر عن هذِهِ الحالةِ الّتِي تقترِبُ لِحدّ كبِير مِن الشّفقةِ، إذ لا يُوجدُ شُعُور يتّصِفُ بِالأسى أسوأُ مِن هذا فلا نُعطِي حدّاً لِشُعُورِنا حِين نحزنُ، هذا ولعلّ ابتِداء الرّوائِيِّ وبِطرِيقة سيكُولُوجِيّة بِمُفردةِ الفزعِ لهُو أمر مقصُود، إذ دائِمًا ما كان (كمالُ تُوما) يلجأُ لِلعمّ خلِيل فِي حياتِهِ مُنذُ أن أدرك وُجُود حياة تستحِقُّ العيش والآن هُو لا يعلمُ إلى من يلجأُ، كأنّ الموت يُوصِلُ رِسالةً لِكمالِ تُومًا بِأنّنِي سآخُذُ مِنك كُلّ مشاعِرِ الحُبّ والأُلفةِ الّتِي تُكُنّها لِكُلّ شخص تُحِبّهُ بِدايةً مِن أخِيك ريمُون وُصُولًا لِلعمّ خلِيلُ فلا يُوجدُ من تستغِيثُ لهُ حتّى يُخلّصك مِن شُعُورِ الأسى كأنّ الرّوائِيّ يقُولُ يا أيّها الطِّفلُ البرِيءُ لا ذنب لك بل هُو ذنبُ هذا الموتِ الّذِي لا يرحمُ قوّاك ولا يُعطِيك فُرصةً لِلصّحوِ ومِسك زِمام أُمُورِ حياتِك بل يُحاوِلُ جعلك تفزعُ أمام كُلّ التّهدِيداتِ الّتِي قد تأتِيك مِن كُلّ صوب وجانِب؛ فيُصبِحُ خائِفًا لا مكان يُعطِيهِ الأمان ثُمّ يفقِدُ أعصابهُ ويلجأُ بِصُورة لا إرادِيّة نحو البُكاءِ والعوِيلِ تعبِيرًا عن رفضِهِ لِديمُومةِ هذا الموتِ وعدمِ تصدِيقِهِ وقع الأسى على نفسِهِ، لعلّ ما يدُورُ فِي ذِهنِنا أنّ ذلِك هُو ما يكفِي إظهارُهُ لِمن يمُوتُ لكِنّ أنّ الحالة السّيكُولُوجِيّة لِكمالِ تُوما تختلِفُ؛ إذ هُو تربّى يتِيمُ الأُمّ بل ربّتُهُ فِي بِدايةِ حياتِهِ على يدِ زوجةِ أبِيهِ ومِن ثمّ المُفارقةُ الكُبرى فِي هذِهِ البُنُوّةِ هُو التّعنِيفُ الّذِي عاصرهُ مع أبِيهِ، فأصبح يتِيم الأُمّومةِ والأُبُوّة، ولم يجِدها إلّا عِند العمّ خلِيل ثُمّ وقع هذا الموتُ، هل ترى أنّ البُكاء والعوِيل يكفِيانِ لِلتّعبِيرِ عن وقعِ الأسى علِيهِ؟.

<u>معانِي القسوةِ :</u>

حالما يمُوتُ الإِنسانُ يكُونُ لا بُدّ مِن دفنِهِ، هُنا علينا أن نتخلّى عن التّعاطُفِ ونتحلّى بِمزِيد مِن الشّدّةِ. هِي صِفةُ مُقاربةِ القسوةِ استعملها الرّوائِيُّ فِي افتِتاحِيّةِ نّصّ يروِيهِ عن الموتِ. إذ يُخبِرُنا أنّ "مِن قسوةِ الموتِ أنّهُ لا يكتفِي بِسلبِنا مِن نُحِبّ، بل يُجبِرُنا على دسِّهِم فِي التُّرابِ وكأنّهُم أسمال فائِضة عن الحاجةِ" (جِرجِيس، ٢٠٠٢).

هذا النّصّ لهُ معان ودلالات سيكُولُوجِيّة عمِيقة جِدًّا، كم مِن تصوّرات وإدراكات تولّدت لدى غالِبِيّةِ البشرِ جرّاء فقدِهِم من يُحِبُّون. هذا الإدراكُ تكُونُ نتِيجة علاقة سببِيّة كان مُسبِّبُها الأوّلُ هُو الموتُ

الّذِي قادنا نحو الاِقتِناعِ بِضرُورةِ دفنِ الميِّتِ بعد موتِهِ؛ لا جدوى مِن البُكاءِ والصُّراخِ والعوِيلِ. يُصرِّحُ الرِّوائِيُّ أنّ علينا التّحلِّي بِبعضِ القسوةِ، يتطلّبُ مِنّا كنّاقِدِ لِلأدبِ الحدِيثِ أن نضع فِي تصوُّرِنا أنّ القسوة تختلِفُ عنِ الصّبرِ. هُنا لم يكُنِ استِعمالُ الرِّوائِيِّ عبثاً، إذ لو قال مثلاً الصّبر لكان ذلِك مُخالِفاً لِلأفكارِ فِي رِوايتِهِ فِيما سبق إذ كمالُ تُوما لم يكُن صابِراً أبداً بل وصف حالهُ الرِّوائِيُّ بِصِفات مُتتالِية ومُتسارِعة (الضّعفُ، البُكاءُ، العوِيلُ، الجزعُ). هُنا يُعطِينا النّصّ حالة التّمكُّنِ اللُّغوِيِّ فِي اختِيارِ الكلِماتِ. إذ هُو أعطى نوعِيّة اليُبسِ بِالقلبِ ومنع نفسهُ مِن الاِنفِعالِ بِوضعِ وصفِ القسوةِ مع الموتِ،

ثُمّ حالة الدّفنِ الّتِي وإن كانت لِلآخرِين عملاً لا بُدّ مِن فِعلِهِ لكِن عِند كمالِ تُوما أشبه بِعمليّةِ إجبار، إذ لا يُتصوّرُ أنّهُ سيقُومُ بِوضعِ التُّرابِ على العمِّ خلِيل، الرّجُلِ الّذِي أنقذهُ وأخرجهُ مِن المُشفى واعتنى بِهِ بل هُو من ساهم فِي صُنعِ هُوِيّة شخصِيّة لِيُعرف بِها فِيما بعدُ.

حِين يعُودُ بِالتّفكِيرِ لا يجِدُ لِنفسِهِ معنًىً دُون العمِّ خلِيل، كُلّ ذلِك تجسّد فِي قلبِ كمالِ تُوما؛ لِيُعطِي ما معنى وُجُودِ مُتطلباتِ القسوةِ عِند الموتِ والّتِي سبق وأن أشرنا إِليها فِي متنِ البحثِ

<u>الاِنتِقامُ:</u>

تدُورُ أحداثُ هذِهِ الجُزئِيّةِ حول كيفِيّةِ الموتِ، إذ يُعالِجُ الرِّوائِيُّ هذِهِ الحالة بِوضعِ كمالِ تُوما فِي موضِعِ المطلُوبِ وهُو ما يُمثِّلُ التّوافُق وهُو " الاِندِماجُ بين وعيِ الرّاوِي ووعيِ الشّخصِيّةِ، وهِي خِصِّيصة أساسِيّة مِن خصائِصِ العلاقةِ بين الرّاوِي وبين الشّخصِيّةِ الرّئِيسِيّةِ " (جِيرالد برنِس، ٣٧،٢٠٠٣) ؛ وأنّ عليهِم تصفِيتهُ وقتلهُ بِسببِ صُورة التقطها لِفتاة بعد خُرُوجِها على الدّولةِ ومُعارضتِها لِسِياسةِ الحُكمِ، اتّخذ قرار قتلِهِ لكِن ماذا يترتّبُ على الرِّوائِيِّ إِيضاحُهُ هاهُنا؟ ، أنّ القتل هُو أشبهُ بِعمليّة خفِيّة بِأن يُقتل كمالُ تُوما غفلةً دُون انتِباه مِنهُ؛ فيمُوتُ ميتةُ غدر، لعلّ الرِّوائِيّ لم يكُن يُرِيدُ ذِكر الغدرِ هاهُنا لِاحتِوائِهِ على رُكنينِ:

" الأوّلُ : استِغفالُ المقتُولِ، كأن أن يأتِيهُ من وراءهُ، أو يكمُن لهُ.

الثّانِي : أو استِدراجُهُ لِلإِيقاعِ بِهِ فِي مكان معزُول. (العُلوِيُّ، ٦،٢٠٠٨).

فلم يكُن كمالُ تُوما يُرِيدُ أن يمُوت مقتُولاً بل هُو مُؤمِن أنّ الموت هُو حقّ إذ يقُولُ" أعرِفُ بِأنّ عليّ أن أمُوت يومًا ما

لكِن، لم عليّ أن أمُوت قتِيلًا؟

ألا يحِقُّ لِي أن أمُوت كما أشتهِي؟

أن أمضِي بِهُدُوء مِن السّرِيرِ نحو الضّفّةِ الأُخرى دُون أن يثقُب الرّصاص لحمِيّ

وتُثغِصُ سِكِينتي أضواء الكامِيراتِ

لِماذا يسلُبُونني حقّ الِاختِيارِ حتّى فِي طرِيقةِ موتى؟!" (جرجيس، ٢٠٢٢،٢٦٩).

هكذا كان يُفضّلُ الرِّوائِيُّ افتِتاح الرّغبةِ عِند كمالِ ثُوما وهِي اختِيارُ طرِيقةِ موتِهِ لا يُرِيدُ أن يُسلُب حُرِّيّة حقِّ الِاختِيارِ ولاسِيّما فِي موتِهِ، ليس بِوُسعِنا أن نقُول فِي اختِيارِ طرِيقة مُعيّنة لِلموتِ بِأنّها سوِيّة، فمهما ما عاشهُ كمالُ ثُوما لم يكُن يرى سِوى التّعاسةِ واليأسِ مُنذُ وفاةِ والِدتِهِ وقسوةِ أبِيهِ وزوجتِهِ مُرُوراً بِالشّيخِ الزّاهِدِ المُتعِبِ الّذِي كشف عن حقِيقتِهِ الّتِي أخفاها بِالصّلاةِ والعِبادةِ عن هوسِهِ الجِنسِيِّ بِالأطفالِ وتشجِيعِهِم على السّرِقةِ مُقابِل المأوى ثُمّ بِالنّومِ فِي الشّارِعِ وتعرُّضُهُ لِلطّعنِ مِن قِبلِ سُكِير حتّى العمِّ خلِيل عِندما أعطاهُ مسكن خاصّ بِهِ كانت غُرفةً صغِيرة فِي طابق ثان بقِي فِيها عُمرًا طوِيلًا، وحياتُهُ خالِية مِن العُنصُرِ النِّسوِيِّ أليست هِي حياة مأساوِيّة؟

الطّبِيعِيُّ هاهُنا أن تكُون لهُ حُرِّيّةُ حقِّ الِاختِيارِ فِي طرِيقةِ موتِهِ لا أن يغتال بِسببِ صُورة لِفتاة ما، أنّ اختِيار كمالِ ثُوما نابِع مِن القلبِ الّذِي قدّم رغبتهُ، بينما العقلُ أعطى الأسباب المُوجِبة لِهذا الِاختِيارِ، ولكِن تستوقِفُنا فِكرة الرّغبةِ بِدُونِ سبب هِي رغبة واهِنة لا تصلُحُ لِجعلِ صاحِبِها لهُ الحُرِّيّة فِي اختِيارِ طرِيقةِ موتِهِ، ثُمّ يُحدِّدُ أرِسطُو الّذِي يُعتبرُ مُؤسِّس نظرِيّةِ الِاختِيارِ " إنّ الأصل فِي الِاختِيارِ هُو الرّغبةُ والمنطِقُ مع رُؤية لِغاية ما" (أليِنغِهام، ٢٠١٦)، ثُمّ نرى إمكانِيّة التّعرُّفِ على هُوِيّةِ القاتِلِ، إذ يرى كمالُ ثُوما أنّهُ لم يبق أمامهُ إلّا أن يُحاوِل التّعرُّف على قاتِلِهِ "لكِن، الحقّ معكُم، فالموتُ فِي كُلِّ الأحوالِ نِهاية قاسِية، وليس أمامِي الآن سِوى التّعرُّفِ على هذا السّاقِطِ الّذِي يُرِيدُ قتلِي، إذ ليس مِن الإنصافِ ألا أوّل حدٍّ يتعرّفُ المرءُ على وجهِ قاتِلِهِ قبل الرّحِيلِ كحدّ أدنى"(جرجيس، ٢٠٢٢،٢٧٠).

يعتقِدُ الرِّوائِيُّ هُنا أنّهُ لم يعُد لِكمالِ ثُوما أيُّ رغبة فِي العيشِ سِوى معرِفةِ وجهِ قاتِلِهِ على كحدّ أدنى على وصفِهِ، فلا تُوجدُ فِكرة فِي قلبِهِ وعقلِهِ تقنِعُهُ بِالحياةِ بل وتفضِيلُهُ لِلموتِ وهذا إمّا بِسببِ غِيابِ الأيدِيُولُوجيا عن كمالِ ثُوما أو ثقافِيّةِ الأنانِيّةِ، كمال ثُوما مُصوّر فُوتُوغرافِيّ جلب التّصوِير علِيهِ مأساة ما اصعبها وهُو التّعرُّضُ لِلِاغتِيالِ، المُحيِّرُ فِي الأمرِ هُو لم تكُن رغبة كمالِ ثُوما فِي الهُرُوبِ مِن الِاغتِيالِ أو أن يحظى بِفُرصة أُخرى لِلعيشِ بل كان يُفكِّرُ بِرُؤيةِ وجهِ قاتِلِهِ. هُو اتّبع فلسفة عدمِ السّعيِ وراء الموتِ بل هُو لا يهرُبُ مِنهُ حِين يأتِي، عِند العودةِ لِلحالةِ السّيكُولُوجِيّةِ لِلشّخصِيّةِ نجِدُها مثّلت نوعًا مِن التّفكِيرِ الّذِي يُكسِبُ صاحِبهُ مجدًا مِن البُطُولةِ والشّجاعةِ، كانت الفترةُ المرِيرةُ ما بعد الِاحتِلالِ الأمرِيكِيِّ مُدمِّرةً بِما يكفِي لِكي تجعلنا نُدرِكُ أنّ الفترة الّتِي تأتِي بعدها قد تكُونُ هِي النِّهاية الفِعلِيّة لِلواقِعِ العِراقِيِّ، هذِهِ المعانِي والأفكارُ الّتِي دارت فِي ذِهنِهِ كمال إنّما تُوحِي بِصُورة مُعبِّرة عن ثقافة عن الرِّوائِيِّ، إذ إدراكُهُ لِحجمِ الارادةِ الّتِي يُنتِجُها الواقِعُ العِراقِيُّ

وعلاقةُ ذلِك بِالوضعِ الدِّراماتِيكِيِّ لِلقُوّةِ الذِّهنِيّةِ الّتِي يمتلِكُها الشّبابُ انبثق اعّلان صرِيح عن الرّغبةِ والمُطالبةِ فِي الإنصافِ على أقلِّ تقدِير بِرُؤيةِ وجهِ من نُقتُلُ على يديهِ.

ثُمّ يُشِيرُ الرِّوائِيُّ لِفِكرةِ عِدادِ الموتِ بِواسِطةِ تسلسُل رقمِيّ نقرأُهُ بِصُورة تنازُلِيّة" سِتّة..

خمسة..

أربعة..

ثلاثة..

هُو

ها هو ذا عِدادِ الموتِ يُعاوِدُ العمل مُنحدِرًا بِأنفاسِي مِن حيثُ وصل. القاتِلُ المأجُورُ أمرُهُ ورشقنِي لدى بابِ الزُّقاقِ بِأربعِ رصاصات خرساء، ثُمّ سلبنِي الكامِيرا لِيركب درّاجتهُ ويلُوذ بِالفِرارِ"

(جرجيس، ٢٠٢٢،٣٠١).

هل عِدادُ الموتى علاقة بِإنفاسِ المقتُولِ؟

هذا السُّؤالُ كُلُّ بِقاعِ الأرضِ تُحاوِلُ بنُ الفترةِ والأُخرى الأجابة عليهِ فما جدوى العيشِ أن كُنّا سنمُوتُ ما المعنى؟"

الرِّوائِيُّ أعطى صُورةً سيكُولُوجِيّةً عن شخصِيّةِ كمالِ تُوما؛ فبين ما يُمكِنُ أن يُفكِّر بِهِ المرءُ بعد أن يتعرّض لِأربعِ رصاصات خرساء؛ فالحياةُ لم تنتهِي هُنا بل هِي موجُود قبل كمالِ تُوما وستكُونُ بعدهُ أيضًا موجُودةً، هذا الموقِفُ صُنع لِلشّخصِيّةِ تأثِيرًا كبِيرًا، إذ فِيما بعدُ تغيُّر وأصبح لهُ تفكِير أكثرُ وعيًا عن ذِي قبلُ؛ فيرى أنّهُ طالما كان يسعى لِلنُّمُوِّ والِارتِقاءِ، وتعوِيضِ حِساباتِ العوزِ والنّقصِ الّتِي كانت طاغِيةً عليهِ، هُو نفسُهُ كان رِهانًا إشكالِيًّا، غير أنّ تدخُّلهُ فِي أُمُور لا علاقة لهُ بِها عرضتهُ لِلفِناءِ لولا رغبةُ الرِّوائِيِّ فِي انعاشِهِ لِلحياةِ مرّةً أُخرى، ففِي كُلِّ مرّة يعُودُ كمالُ تُوما لِلحياةِ بِطرِيقة أو بِأُخرى يعُودُ مرّةً حِين تعرّضُ لِلطّعنِ على يدِ سِكِّير ومرّةً أُخرى تعرّض لِأربعِ رصاصات لكِنّهُ لم يمُوت بل أصبح أشبه بِالأُفُقِ المنظُورِ مِثل شبح رهِيب يلحقُهُ، والسّببُ غيرُ مُقنِع بِالنِّسبةِ لِي إذ يُصِرُّ الرِّوائِيُّ على تحمِيلِ كمالِ تُوما مسؤُولِيّةً فِي تدمِيرِ نفسِهِ إذ تسبّب فِي إرهاقِ نفسِهِ بِالذّنبِ والتّفكِيرِ فِي مُجرياتِ أحوالِهِ.ثُمّ سعيُ كمالِ تُوما لِلِانتِقامِ ؛ لكِن يجِبُ أن يُقال أيضًا أنّهُ مهما بلغت حِدّةُ الِانتِقامِ إلّا أنّ الشّكّ فِي جدواهُ يبقى كامِنًا فِي جُذُورِ اللّاوعي عِند الشّخصِيّةِ .

إذا كان الرِّوائِيُّ قد ترك الِانتِقام مِن الِاوغادِ على حدِّ وصفِهِ مُتنفِّسًا فِي الهامِشِ وثقافةِ الهامِشِ ، فلِأنّهُم يُؤمِنُون بِهِ ولا يُنكِرُونهُ مُطلقًا ، كُلُّ ما فِي الِامرِ أنّهُم يخشون أن يُهدِّد القواعِد التّقلِيدِيّة لِطبِيعةِ الِانتِقامِ إذا اطلقُوا العِنان لِلثّأرِ " اين ذهبتُ يا ابن الحرامِ؟! عليك أن تمُوت حالًا، فموتُك

يشفِي صدرِي. بقاؤك على قيدِ الحياةِ يُؤلِمُنِي، كما أنّهُ يعنِي بِطريقة ما أنّ اغتِصابنا مِن قبلُ أوغاد آخرِين أمر وارِد.. الأوغادُ ما كان لهُم أن يكُونُوا أوغادًا لولا وُجُودُ أشخاص جاهِزين لِلبيعِ، على شاكِلتِك. على أيّةِ حال، ما أُرِيدُك أن تعرِفهُ فِي هذه اللحظة أنّ الاِنتِقام بِالنِّسبةِ لِي أمسى ضرُورةً وعملًا واجِبًا لن أتهاون أنّ موعِدهُ قد تأخّر كثِيرًا، تأخّر عمرًا بِأكملِهِ، لكِنّ تأخِير الانتقام يجعل الضربة أقسى. هكذا قرأتُ ذات مرّة فِي كِتاب لا أتذكّرُ عُنوانهُ"(جرجيس، ٢٠٢٢، ٣١١).

أنّ مشهد كمالِ تُوما الّذِي يبُوحُ لِذاتِهِ بِتوتُّر وعصبيّة بِأنّهُ لا يُعرِفُ مكان ابنِ الحرامِ الّذِي اصّابهُ بِأربعِ رصاصات ، لا يزالُ نادِرًا فِي مُجتمعِنا العِراقِيِّ ، لِأنّ موقِفًا كهذا يشُوبُهُ الخوفُ : فيُعانِي مِن الغضبِ ونقصِدُ بِذلِك سُلطة السِّياسةِ ، كان التّوجُّسُ نابِعًا مِن الاِعتِقادِ أنّ كمال تُوما لا يهدأُ حتّى يجِد الوغد الّذِي أراد قتلهُ ، هُو يُرِيدُ التّركِيز على موتِهِ ولا يشفِي صدرهُ غير ذلِك ، يرى أنّ الاِنتِقام ضرُورة لكِن بِسعيِهِ ذلِك هُو يعِيشُ حالة الاسى ، إذ يرى أنّ بقاء هذا الوغدِ على قيدِ الحياةِ يُؤلِمُهُ ، لكِن سُرعان ما يكتسِي هذا الالم بِاللّذّةِ حِينما تسنحُ لِكمالِ تُوما الفُرصة بِالاِنتِقامِ ، شِحنةُ الغضبِ الّتِي زرعها الرِّوائِيُّ فِي ذِهنِ كمال تجعلُهُ لا يشعُرُ بِالرّاحةِ بل يبقى فِي حالة مِن الهيجانِ والتّرقُّبِ بُغية إفراغِ هذا الكمِّ الهائِلِ مِن الغضبِ ، عِند قِراءةِ النّصِّ لِأكثر مِن مرّة تبيّنت نتائِجُ غيرُ مُتوقّعة ؛ فالرِّوائِيُّ جعل مِن كمالِ تُوما لا يجِدُ فِي الثّأرِ لذّةً ، بل إنّهُ يسعى لِلأُنتِقامِ لِكي يستشعِر هذِهِ اللّذّة ، حدِيثُ الرِّوائِيِّ يُعطِي صُورة أنّ كمال تُوما لا يجنِي مِن الاِنتِقامِ إلّا الاسى ويدُورُ مع نفسِهِ فِي حالة مِن الفراغِ هُو يتعمّدُ فِي إيذاءِ نفسِهِ وهذا قد يجعلُهُ يُسيطِرُ بِطرِيقة ما على نشاطِ التّفكِيرِ الّذِي لن يدُوم كما هُو طوِيلاً .

<u>التّنمُّرُ والأسى:</u>

هُو سُلُوك مُكتسب مِن البِيئةِ الّتِي تعِيشُ فِيها شخصِيّةُ كمالِ تُوما أو خاصّةً إذا كان بين طِفل بالِغ كبِير وآخر يُمثِّلُ الضّعف الّذِي غالِبًا ما يكُونُ ضِعف جسدِيّ، غاية الرِّوائِيِّ الّتِي صرّح بِها فِي إحدى اللِّقاءاتِ الصّحفِيّةِ أنّ كِتابة رِوايةِ (حجرُ السّعادةِ) الغرضُ مِنها أو الفائِدةِ والغايةُ هِي إزالةُ الفِكرةِ غيرِ السّوِيّةِ عِند الكثِيرِ مِن النّاسِ فِي المُجتمعِ العِراقِيِّ بِشكل مخصُوص والّتِي تجِدُ أنّ سُلُوك التّنمُّرِ طبِيعِيّ بين الأطفالِ، هذا يُمثِّلُ نوعًا مِن الصُّعُوباتِ النّفسِيّةِ الجسدِيّةِ الّتِي تُؤثِّرُ بِشكل كبِير على حياةِ الطِّفلِ ونُمُوِّهِ، لكِنّ ما يزِيدُ الآسى عدمُ وعيِ المُجتمعِ نأخُذُ فمثلًا والِدُ كمالِ تُوما السّكِيرِ الّذِي يتّخِذُ الضّرب والصِّياح وسِيلةً لِلتّربِيةِ لا يملِكُ أدنى فِكرة عن موضُوعِ التّنمُّرِ، الآسى هُنا صُنع مِن الرِّوائِيِّ ليس فقط لِلقارِئِ أو حتّى لِلشّخصِيّةِ الرّئِيسِيّةِ كمالِ تُوما بل حتّى النّاقِدُ الّذِي يُرِيدُ وضع حُلُول واقِعِيّة وفِعلِيّة؛ فإذا قُلنا أنّ المُعالجة تتمّ بِواسِطةِ تدخّل مُباشِر مِن الأبِ وأيضًا إثارةُ الوعيِ يكُونانِ ضرُورِيّين لِوقفِ هذِهِ الحالةِ، لكِنّ عِند كمالِ تُوما لن تحصُل، فأدنى وصفِ علاقةِ الاِبنِ

بِالأبِ هُنا فِي الرِّوايةِ هِي علاقةُ الِابنِ بِالأبِ المُعنّفِ وهِي علاقة تُقوّي مِن قُوّةِ التّنمُّرِ ولا تُضعِفُها وهُو ما نجِدُهُ فِي اقتِباسنا الآتِي والّتِي يتنكّرُ فِيها على أخِيهِ رِيمُونِ" واه واه! يقُولُون عنهُ أشقرُ ! ليس أشقر أيُّها البائِعُ البدِينُ، بل أصفرُ باهِت وأسنانُهُ بارِزة كأسنانِ الأرنبِ، لكِنّكُم مُنافِقُون، كُنتُ أردّدُ فِي سِرِّي. أمّا زوجةُ أبِي فتُجِيبُ، خشيةً العينِ عليهِ، بِأنّهُ مرِيض ولا ينامُ اللّيلُ، ثُمّ لا تنسى أن تشترِي لهُ الحلوى. كانت تشترِيها لهُ وحدهُ، بينما تُدسُّ فِي فمِي عِلكةً رخِيصةً وتقُولُ بِمكرِ الشّياطِينِ: أنّهُ ما فِي فمِك أوّلاً ثُمّ أشترِي لك ما تُرِيدُ". (جرجيس، ١٠،٢٠٢٢).

الرِّوائِيُّ بدأ ظاهِرة التّنمُّرِ بِإعطاءِ صُورة عن تصرُّفِ بطلِ الرِّوايةِ ورُؤيتِهِ ووصفِهِ السّيِّئِ لِأخِيهِ (رِيمُون)، بل لم يُسلِّم حتّى البائِعُ إذ وصفهُ بِالبدِينِ، هذا الوصفُ إلى جانِبِ الوصفِ الآخرِ لِأخِيهِ أنّ أسنانهُ كأسنانِ الأرنبِ يُعطِي دلالةً على حجمِ التّأثِيرِ الّذِي مارستهُ البِيئةُ عليهِ ولا سِيّما بِيئةُ العملِ الّتِي يُمارِسُها طِفل بِعُمرِهِ، ثُمّ لا يُوجدُ مردُود مادِّيّ أو معنوِيّ يُهوّنُ عليهِ ما جعلهُ يُعانِي مِن الأسى والحِرمانِ، غالِبًا الّذِي يحرُمُ مِن شيء يُصِيبُهُ مرضُ الحِقدِ فما بالّك بِطِفل صغِير لا يزالُ لم يُدرِك شيئًا غير أن يطلُب ولا يُلبّى طلبهُ فمثلًا يطلُبُ مِن زوجةِ أبِيهِ أن تشترِي لهُ حلوى لكِنّها تُوعِدُهُ بِذلِك ولا تلتزِمُ بِوعدِها؛ لِيصِفها أنّ لديها مكر أشبه بِمكرِ الشّياطِينِ ثُمّ هذا السُّلُوكُ يكُونُ مُوجِعًا وأيضًا مُتكرّرًا مع كمالِ تُوما الّذِي دائِمًا ما يُعلّقُ تعلِيقات لا تخلُو مِن التّنمُّرِ كأنّهُ يُرِيدُ أن يُوازِن بين قُواهُ النّفسِيّةِ إذ هُو يرى الضّعف فِي نفسِهِ، يُوازِنُ ذلِك بِأن يتنمّر ويُوصف مِن حولِهِ بِما يشاءُ تعبِيرًا عن نمطِ قُوّتِهِ الدّاخِلِيّةِ فلا يستقوِي غير القوِيّ، ودائِمًا الّذِين يتنمّرُون يكُونُون هُم الطّرف الأعلى والأقوى عن الآخرِين، لعلّ كمال تُوما أراد عيش هذا الشُّعُورِ تعبِيرًا عن شُعُورِهِ بِالقُربِ مِمّن تنطوِي أفعالُهُ على العُدوانِ أو النِّزاعِ، ويُحقّقُ الرِّوائِيُّ رغبتهُ فِي الإيضاحِ أنّ وقع الأسى على الطِّفلِ المحرُومِ تجعلُهُ يتعلّمُ مِن البِيئةِ المُجتمعِيّةِ الّتِي يعِيشُ فِيها، وأيضًا لا يخلُو تعلّمُهُ مِن الأُسرةِ وتنشِئتُها ورابِطةِ العلاقةِ الأُسرِيّةِ فِيما بينهُم، البُرهانُ الواضِحُ فِي الرِّوايةِ أنّ أحد أقوى أسبابِ الأسى البارِزةِ هِي العِقابُ البدنِيّ الّذِي تلقّاهُ كمالُ تُوما فِي كُلّ خطأ صغِير يقعُ بِهِ، خلِق مِنهُ طِفلًا يرى أنّ أفضل وسِيلة لِحِمايةِ ذاتِهِ هِي الأوصافُ والأحادِيثُ الّتِي يُطلِقُها على (البائِعِ، أخِيهِ رِيمُون، زوجةِ أبِيهِ).

تعدُّدُ صُنُوفِ التّنمُّرِ :

بعد تأكِيدِ الرِّوائِيِّ على انعِدامِ دورِ الأبِ فِي توجِيه وتقدِيمِ النُّصحِ لِكمالِ تُوما استمرّ على هذا الحالِ، وانتقل مِن المُواجهةِ الذّاتِيّةِ مع نفسِهِ إلى المُواجهةِ مع الطُّلّابِ، وايضًا المُدرِّسُ الّذِي هُو الآخرُ لم يسلم مِنهُ كمال بل كان فِي مُقدِّمةِ المُتنمِّرِين وهذا يُنافِي الغرض الرّئِيسِيّ مِن التّدرِيسِ، لعلّ هذا هُو مِن أهمِّ الأسبابِ الّتِي دعت وِزارةُ التّعلِيمِ العالِي والبحثِ العِلمِيِّ على تغيِيرِ دورةِ طرائِقِ

التّدريسِ الحديثةِ إلى نِظام مُختلِف وصارِم، الغرضُ مِن هذا النِّظامِ هُو تقويةُ المُعلِّمِين على الجِدِّيّةِ فِي إعطاءِ وتدريسِ المادّةِ دُون التّقليلِ لِأحد مِن الطّلبةِ وايضاً عدمُ السّماحِ لِلآخرين التّجاوُز على زُملائِهِم سواء بِاللّفظِ أو غيرِهِ، لكِنّ هدف الرِّوايةِ هُو بيان آثر التّنمُّر وما يتعرّضُ لهُ كمالُ ثُوما جرّاءهُ مِن آثار بعِيد الّتِي سوف تجعلُهُ فِيما بعدُ يأخُذُ عادة شُربِ الخمرِ والتّدخِينِ مُلازِمةً لهُ، إذ هِي بدأت عِند الأُسرةِ واستمرّت فِي المدرسةِ مِمّا جعلهُ يُشعِرُ بِالآسى على نفسِهِ" وهكذا تسلّل الخوفُ إلى قلبِي مِثل لِصّ مُحترِف، وراح يسلُبُنِي القُدرة على مُواجهةِ ذُبابة كسِيحة. لقد صِرتُ مع الأيّامِ هدفًا لِلسُّخريةِ فِي الشّارِعِ والمدرسةِ، وتحوّلُ رأسِي إلى كِيس مُلاكمة يُدرِّبُ بِهِ الصِّبيانُ قبضاتِهِم. الجبانِ والتّافِهُ والمُخنّثُ والحِمارُ ألقاب ستُرافِقُنِي طوِيلًا ويُذِيلُ بِها اسمِي أينما ذُكِر. غير أنّ أسوأ ما جابهنِي فِي تِلك الأيّامِ وسحق كرامتِي الضّحكاتُ المشُوبةُ بِالتّهكُّمِ والّتِي يُطلِقُها الصِّغارُ عِندما أتأتِئُ بِالكلامِ أمامهُم. ليس الصِّغار فحسبُ، بل حتّى الكِبار يفعلُون ذلِك. ذات يوم دخل علينا مُعلِّمُ الحِسابِ وبدأ بِأخذِ الغِيابِ، وعِندما نادى بِاسمِي، تأخّرتُ قلِيلًا فِي الرّدِّ. كُنتُ شارِدًا، فردّ أحدُ التّلامِيذِ بدلًا عنِّي: «ن نُ ن ن عمِّ» لِيضحك الجمِيع، بِمن فِيهِم ذلِك المُعلِّمُ البلِيدُ. بكيتُ كثِيرًا يومها وكرِهت الحِساب والمدرسةُ وغادرت دُون إذن مِن أحد. ليس غرِيبًا أنّي لا أحفظُ جدول هِي الضّربُ حتّى اللّحظةِ. تسلّقتُ السِّياج وهربت. وفِي الطّرِيقِ دعوتُ اللّه أنّ تحترِقُ مدرسةُ الطّاهِرةِ بِمن فِيها، لكِنّهُ لم يستجِب لِدعوتِي، بل عاقبنِي على يدُ السّيِّدِ المُدِيرِ بِعشرِ ضربات بِالعصا والوُقُوفِ على ساق واحِدة فِي رُكن الفصلُ أمام التّلامِيذِ."(جرجيس، ٢٠٢٢، ٣٥).

الرِّوائِيُّ يُبيِّنُ فِي النّصّ أعلاهُ كيف أنّ التّنمُّر تعدّدت صُنُوفُهُ سواء فِي خارِجِ المدرسةِ أو داخِلها، فبدأ بِجعلِ كمالِ ثُوما هدفًا لِلسُّخرِيةِ مُرُورًا لِلتّعدِّي واستِعمالِ العُنفِ، عُرِف عن كمالِ التّأتأةِ فِي القِراءةِ، فِي نِظامِ طرائِقِ التّدرِيسِ على المُعلِّمِ أن يُعطِي لِلطّالِبِ الثِّقة بِواسِطةِ منحِهِ مجال ووقت أكثر لِتعزِيزِ القُدرةِ لديهِ فِي الإلقاءِ أو غيرِهِ، كان الطّلبةُ يسخرُون مِن كمالِ ثُوما وهُو يقرأُ ليس هذا وحسبُ بل تعرّض لِلعُنفِ والضّربِ والأكثرُ مِن ذلِك مُشاركةُ المُعلِّمِ الضّحِك معهُم؛ فلم تبقى هيبة لهُ عِند كمالِ ثُوما الّذِي هُو الآخرُ أعطاهُ وصف سايكُولُوجِيّ (البلِيدُ) هُنا حصل تداخُل فِي الأحاسِيسِ عِند كمالِ ما بين الكُرهِ الشّدِيدِ لِذاتِهِ وبين تركِهِ لِلدِّراسةِ وعدمِ العودةِ إلِيها صُنعُ ذلِك هُو التّنمُّرُ، لم يجعل الرِّوائِيّ لِلشّخصِيّةِ أيّ منفذ سِوى الهُرُوبِ مِن المدرسةِ بل وأن يجعلها تحترِقُ عليها، ثُمّ يزِيد الرِّوائِيُّ ذلِك بِأن يُعطِي كمالُ ثُوما العُقُوبة الّتِي تُلائِمُ هُرُوبهُ وهُو الضّربُ والإهانةُ مِن قِبلِ مُدِيرِ المدرسةِ، هذِهِ الحادِثةُ تعِيشُ مع كمالِ ثُوما فِي جمِيعِ أحداثِ الرِّوايةِ؛ إذ شكّلت لديهِ صدمة نفسِيّة وانعِدام فِي الثِّقةِ النّفسِيّةِ وعيشِهِ حياة الآسى وهُو طِفل لم يتعلّم بعدُ واجِباتِهِ تُجاه الحياةِ، أنّ التّنمُّر هُو حالة خطِرة لا يُمكِنُ التّغاضِي عنها وأحسنُ الرِّوائِيُّ إذ جعل هذا الخلِيط مِن

الأحاسِيسِ المُجتمِعةِ عِند طالِبِ مدرسة وهُو يُعانِي مِن اليُتمِ وأيضَاً الاِب العنِيفُ مع المُعلِّمِ السّاخِرِ، وتنمُّرُ الطّلبةُ، كُلُّ ذلِك زرع فِي نفسِيّةِ كمالِ تُوما شُعُور الاسى سوف تستمِرُّ وتُؤثِّرُ عليهِ كثِيرَاً.

لم يتوقّف الرِّوائِيُّ فِي تصوِيرِ الآسى بِهذا الواقِعِ الّذِي عاشهُ كمالُ تُوما، إذ استمرّ فِي أخذِ صُورة أُخرى لِمُسلسلِ التّنمُّرِ بِالاِستِعانةِ بِاللُّغةِ الرِّوائِيّةِ المُتعدِّدةِ " أنّ اللُّغة الرِّوائِيّة ليست واحِدةً، بل مُتعدِّدةً" (بُوعِزّةُ، ٢٠١٦، ٤٥).

إذ صُورُ الرِّوائِيِّ بِلُغة صرِيحة مُعاناة هذا الطِّفلِ مِن التّنمُّرِ المدرسِيِّ بل تعدّى الأمرُ إلى الاِعتِرافِ كما سنذكُرُهُ" المُثِيرُ لِلخيبةِ أنّ مُسلسل التّنمُّرِ لم ينتهِ عِندما رُفِعت الرّايةُ البيضاءُ واعترفت أمام الجمِيعِ بِأنِّي تافِه وجبّان وابنُ كلب! بل طالت حلقاتُهُ واتّخذ أساليب جدِيدة فِي الإذلالِ والإهانةِ. كانُوا يسلُبُوننِي حقِيبة الخيشِ ويتقاذفُونها فِي ما بينهُم كالكُرةِ الطّائِرةِ وأنا فِي المُنتصفِ أُجاهِدُ لِاستِرجاعِها باكياً". (جرجيس، ٢٠٢٢، ٣٧).

أنّ الإذلال والإهانة الّتِي تعرّض لها كمالُ تُوما ليس فقط فِي فِقرةِ التّنمُّرِ بل فِي طِيلةِ مُجرياتِ إحداثِ الرِّوايةِ تدُلُّ على كيفِيّةِ سيرِ الأُمُورِ المأساوِيّةِ فِي الواقِعِ فما بين الطُّفُولةِ والتّعنِيفِ وإكمالِ ذلِك بِوُجُودِ الطّلبةِ المُتنمِّرِين فِي المدرسةِ كُلُّ ذلِك يُؤدِّي إلى جعلِ الذُّلِّ لِباس يرتدِيهِ كمالُ تُوما فِي كُلِّ يوم مِن وُجُودِهِ فِي هذِهِ البِيئةِ، حتّى بعد هُرُوبِهِ مِن المدِينةِ ووُصُولِهِ الى العاصِمةِ بغداد لم يتغيّر واقِعُهُ عن هذا بل تعدّاهُ إلى مأساة أكبر وهُو تعرُّضُهُ لِلطّعنِ جرّاء نومِهِ على الرّصِيفِ أذِن التّنمُّرِ هاهُنا هُو سُلُوك اتّعبهُ الأطفالُ الاِقوِياءُ لِزرعِ الضّعفِ والمُعاناةِ فِي نفسِ كمالِ تُوما، وعلى الاِغلبِ أنّ التّراكُماتِ الّتِي عاشها هذا الطِّفلُ هِي مِن جعلتِهِ يرُدُّ على الفتى الّذِي تعرّض لهُ واسمعهُ الكلام التّنمُّر وهُو على نهرِ دِجلة مع أخِيهِ رِيمُون، وواضِح مِن قِبلِ الرِّوائِيِّ مُحاولتُهُ تهيِئة هذا القالبِ لِيُبيِّن مدى خُطُورةِ هذا السُّلُوكِ، الاِستِغرابِ الّذِي يتملّكُنِي كثِيرَاً هُو مُحاولةُ البعضِ إنكار هذِهِ الظّاهِرةِ بل ينفِي وُجُودها فِي مُجتمعِنا على الرّغمِ مِن ازدِيادِها فِي واقِعِنا بِشكل مُرعِب، كما أنّ طُرُق عِلاجِها ودِراستها لم تكُن بِالمُستوى المطلُوبِ، واجزم أنّ هذِهِ العمل الرِّوائِيّ لهُو إشارة جدِيرة بِالتّمِيُّزِ تُجاه هذِهِ النِّيمةِ.ثُمّ نأخُذُ نصّ آخر يُبيِّنُ مدى قُبحِ هذِهِ الظّاهِرةِ وصُعُوبةِ الموقِفِ الّذِي عاشهُ كمالُ تُوما وأخُوهُ يستفسِرُ لِماذا يقُولُون لِي أرنب؟ " تأتأُوا خلفِي وكأنِّي ألعبُ بِلِسانِي لا بِقدمِي. أمّا رِيمُونُ فمضوا يسخرُون مِن أسنانُهُ ويُردِّدُون خلفهُ فِي الملعبِ: «أرنب.. أرنب.. أرنب».. لم يكُن يعي أسبابُ ذلِك، وكان يسألُنِي:

كِيمُو، لِماذا يقُولُون لِي أرنب؟

لِأنّك سرِيع كالأرانِبِ يا أخِي.

لم يكُفُّوا عن مُضايقتِهِ، بل صارُوا يُطلِقُون علينا فرِيق الأرانِبِ".
(جرجيس، ٢٠٢٢،٣٧).

بِوُسعِنا القول أنّ رِيمُون أصبح مُجرّد ذِكرى نتذكّرُها ونحنُ نُحلّلُ هذِهِ الرِّواية والّتِي قام الرِّوائِيُّ بِتكرارِها فِي أكثر مِن موضِع فِي الرِّوايةِ وهُو ميل واضِح عِند الرِّوائِيِّ إلى التّكرارِ" ففِي كُلِّ عمل يُوجدُ ميل إلى التّكرارِ، سواء أتعلّق الأمرُ بِالفِعلِ الرِّوائِيِّ أم بِالشّخصِيّاتِ أم بِتفاصِيلِ الوصفِ" (مجمُوعةُ مُؤلِّفِين، ١٩٩٢،٤٢). بعد غرقِهِ فِي النّهرِ وموتِهِ، ثُمّ عِند العودةِ لِلنّصِّ ونجِدُ هذِهِ الجُزئِيّة الّتِي وإن كُنّا قرأناهُ سابِقًا لكِن بِصُورة أُخرى غيرِ الصُّورةِ الّتِي نحنُ بِها الآن، ومِن خِلالِ هذا التّحدِيدِ الّذِي امدُهُ الرِّوائِيُّ لِشخصِيّةِ رِيمُون الأخِ الصّغِيرِ لِكمالِ ثُوما مِن زوجةِ أبِيهِ، أعطى لِلنّصِّ تجرِيد لا يُمكِنُ تجسِيدُهُ إلّا مِن خِلالِ الخِطابِ الرِّوائِيِّ كفِعل تواصُلِي مِن بِيهِ فِعل التّمرُّدِ الّذِي مارسهُ هؤُلاءِ الطّلبةُ وبين فِعلِ السُّؤالِ الّذِي طرحهُ رِيمُونُ على أخِيهِ، ثُمّ الإطارُ العامُّ لِهذِهِ العلاقاتِ المُترابِطةِ بين الشّخصِيّاتِ، إذ جعل الرِّوائِيُّ فِي هذا النّصِّ بِآن واحِد فِعلاً لِلإنتاجِ الفِكرِيِّ بِمعنًى آخر أنّ الخِطاب هُو الموضُوعُ المُجرّدُ أمامنا كفِعل يطرحُ السُّؤال تُجاه موقِفِ ما وهُو التّمرُّدُ أمّا النّصُّ الّذِي أوردهُ الرِّوائِيُّ على هذِهِ الهيئةِ هُو هُو الموضُوعُ المُفترضُ وايضًا يُمثِّلُ نِتاج اللُّغةِ الواقِعِيّةِ لِلمُجتمعِ

<u>تأثِيرِ السّرِقةِ:</u>

ابتدأ الرِّوائِيُّ النّصّ بِتقدِيمِ أجواءِ الصّيفِ اللّاهِبةِ لِيُبيِّن أنّ الحالة النّفسِيّة الذّاتِيّة الّتِي كان يُعانِي مِنها كمالُ ثُوما، ثُمّ يُعطِي دافِعًا نفسِيًّا داخِلِيًّا يجعلُهُ أكثر جُرأةً فِي تنفِيذِ فِعلِ السّرِقةِ مِن خِلالِ التّمهِيدِ النّفسِيِّ لِهذِهِ السّرِقةِ، ثُمّ يُخيِّلُ لِلطِّفلِ الصّغِيرِ عدمُ انتِباهِ البائِعِ وزوجةِ أبِيهِ عليهِ لكِنّ حواسّهُ لا زالت غير مُدرِكة أنّ الحركة البسِيطة تُلاحِظُ كيفما كانت مِن قبلِهِم، لم تُبيِّن زوجةُ الأبِ ردّة فِعل على ما قام بِهِ كمالُ ثُوما، إذ حرصت على كتمِ الأمرِ، عاش كمالُ ثُوما فِي هذِهِ السّاعاتِ مشاعِر الخوفِ والتّرقُّبِ، إذ فِي حالةِ كُشفِ أمرِهِ سيُعانِي مِن سُمعةِ السّرِقةِ باقِي طُفُولتِهِ وحياتِهِ.

يُعطِي الرِّوائِيُّ النّظرة القائِلة أنّ اشّباع الرّغبةِ هِي الأساسُ فِي تنفِيذِ هذا السُّلُوكِ المُتمثِّلِ بِالسّرِقةِ، ثُمّ بدأ المشهدُ التّمثِيلِيُّ مِن قِبلِ زوجةِ الأبِ، إذ بدأت أوّل الأمرِ بعد عودتِها بِتهيئةِ الشّكلِ المِثالِيِّ التّمثِيلِيِّ لِما قام بِهِ كمالُ ثُوما، وأعطت لِهذا الحركةِ أهمِّيّةً لا سِيّما هُو ليس ابنها وغير مُلزمة بِكتمِ الموضُوعِ، ففكّرت بِأقسى شيء وهُو إخبارُ الأبِ، وكُلُّنا نعلمُ أنّ الأباء الّذِي يُعانُون مِن عادةِ شُربِ الخمرِ وفِي نفسِ الوقتِ لا يرغبُون أن تكُون ذُرِّيّتُهُم أو أطفالُهُم لهُ يد فِي الجرِيمةِ أوِ السّرِقةِ تكُونُ إنفِعالاتُهُم قاسِيةً مأساوِيّةً أن طالت فِي يوم ما أحدُهُم بِالضّربِ يروِي الرِّوائِيُّ هذا المشهد"فِي ذلِك اليومُ السّاخِنُ مِن أيّامِ القيضِ اللّاهِبةِ، كانت زوجةُ أبِي قد باعت ما لديها مِن بِضاعة ووقفت

لِتُشارِك بائِع الحلوى حدِيثًا جانبِيًا. كانا مُنغمِسينِ فِي الحدِيثِ إلى حدِّ فِقدانِ الشُّعُورِ بِوُجُودِي، فما كان مِنِّي إلّا أن اعتليتُ الدِّكّةِ ومدّدت يدِي وسرِقت. خُطِفتُ مِن أمامِهما قِطعة زُلابِيّة وأخفيتُها فِي جيبُ السِّروالِ دُون أن يلتفِتا. وحالِما انتهى الحدِيثُ وابتاعت مِن السُّوقِ ما تحتاجُهُ، حملتنِي الأكياسُ وتبِعتُها خائِفًا أتلفت". (جرجيس، ١١،٢٠٢٢).

ابتدأ الرِّوائِيُّ النّصّ بِتقدِيمِ أجواءِ الصّيفِ اللّاهِبةِ لِيُبيِّن أنّ الحالة النّفسِيّة الذّاتِيّة الّتِي كان يُعانِي مِنها كمالُ تُوما، ثُمّ يُعطِي دافِعًا نفسِيًّاً داخِلِيًّاً يجعلُهُ أكثر جُرأةً فِي تنفِيذِ فِعلِ السّرِقةِ مِن خِلالِ التّمهِيدِ النّفسِيِّ لِهذِهِ السّرِقةِ، ثُمّ يُخيِّلُ لِلطِّفلِ الصّغِيرِ عدمُ انتِباهِ البائِعِ وزوجةِ أبِيهِ علِيهِ لكِنّ حواسّهُ لا زالت غير مُدرِكة أنّ الحركة البسِيطة تُلاحِظُ كيفما كانت مِن قبلِهِم، لم تُبيِّن زوجةُ الأبِ ردّة فِعل على ما قام بِهِ كمالُ تُوما، إذ حرصت على كتمِ الأمرِ، عاش كمالُ تُوما فِي هذِهِ السّاعاتِ مشاعِر الخوفِ والتّرقُّبِ، إذ فِي حالةِ كُشفِ أمرِهِ سيُعانِي مِن سُمعةِ السّرِقةِ باقِي طُفُولتِهِ وحياتِهِ.

يُعطِي الرِّوائِيُّ النّظرة القائِلة أنّ اشّباع الرّغبةِ هِي الأساسُ فِي تنفِيذِ هذا السُّلُوكِ المُتمثِّلِ بِالسّرِقةِ، ثُمّ بدأ المشهدُ التّمثِيلِيُّ مِن قِبلِ زوجةِ الأبِ، إذ بدأت أوّل الأمرِ بعد عودتِها بِتهيئةِ الشّكلِ المِثالِيِّ التّمثِيلِيِّ لِما قام بِهِ كمالُ تُوما، وأعطت لِهذا الحركةِ أهمِّيّةً لا سِيّما هُو ليس ابنها وغير مُلزمة بِكتمِ الموضُوعِ، ففكّرت بِأقسى شيء وهُو إخبارُ الأبِ، وكُلُّنا نعلمُ أنّ الأباء الّذِي يُعانُون مِن عادةِ شُربِ الخمرِ وفِي نفسِ الوقتِ لا يرغبُون أن تكُون ذُرِّيّتُهُم أو أطفالُهُم لهُ يد فِي الجرِيمةِ أوِ السّرِقةِ تكُونُ إنفِعالاتُهُم قاسِيةً مأساوِيّةً أن طالت فِي يوم ما أحدُهُم بِالضّربِ يروِي الرِّوائِيُّ هذا المشهد " ما بِك؟ لِماذا لا تأكُلِين؟

فقالت لهُ بِنبرة أسَى بالِغةُ الإتقانِ:

لا أشتهِي الطّعام، شبِعتُ مِن القهرِ.

– قهر ؟! مِن ماذا؟

لا شيء، دعك مِنِّي الآن وأكمِل طعامك، لا أُرِيدُ أن أُنغِص علِيك قال وهُو يقضِمُ رأس بصل ويُردِفُهُ بِكسرةِ خُبز:

قولِي ما عِندك يا امرأةُ، مقهُورة مِن ماذا؟

طأطأت رأسها بِخبث وتنهّدت قائِلةً:

مقهُورة مِن ابنِك.. ابنِك حرامِي يا تُوما.

آه، كم كانت قاسِيةً تِلك الجُملة القصِيرة!"

(جرجيس، ١٢،٢٠٢٢).

بدأ النّصُّ بِالاستِفهامِ عن حالةِ زوجةِ الأبِ بِسببِ عدمِ مُشاركةِ زوجِها الأكل، وهذا أُسلُوب ماكِر وخبِيث تُمارِسُهُ هاهُنا الزّوجةُ لِأجلِ إعطاءِ ها أهمِّيّةً لِلموضُوعِ، ثُمّ تقُولُ بِنبرةِ صوت مملُوءةِ الآسى على كمالِ تُوما بِأنّها لا تشتهِي الطّعام وهِي تُفكِّرُ فِي كمالِ تُوما حِين سرق، هِي تروِي مِن جانِب لا تُمثِّلُ فِيهِ العاطِفةُ أي مكانة أبدًا، قالت لهُ ابنُكِ حرامِي، فعلى الرّغمِ مِن عِلمِها أنّ السّرِقة الّتِي قام بِها كمالُ تُوما هِي تمّت بِشكل لا أُرادِي نتِيجة رغبتِهِ فِي الشّيءِ، ثُمّ طلبهُ مِنها شِراءهُ لكِنّها كانت فِي كُلِّ مرّة تُؤجّلُ طلبهُ، مِمّا دعاهُ فِي نِهايةِ صبرِهِ إِلى ارتِكابِ السّرِقةِ.

ثُمّ يعقُبُ الرِّوائِيُّ الغوص فِي ذِهنِ والِدِ كمالِ تُوما سارِدًا ذلِك عن طرِيقةِ كمالِ نفسِهِ" ما دُمت قد سُرِقت مرّةً، فأنت لِصّ مُحترِف! هذا ما يشغلُ بال أبِي، حتّى أنّ سُؤالهُ الأوّل قبل الشُّرُوعِ بِحفلةِ التّعنِيفِ الّتِي لا تُنسى، كان:

مِن أين سرِقتُهُ؟

كان يسألُ عن ثمنِ القمِيصِ الّذِي لم يعُد قمِيصًا بعدما فقِد بِالشّدِّ يافتهُ وبعضُ أزرارِهِ. أمّا أنا فكُنتُ ذاهِلًا مُستسلِمًا بين يديهِ كالدُّمى".

(جرجيس، ٢٠٢٢، ٣٣).

يختلِفُ النّصُّ الرِّوائِيُّ الّذِي نحنُ بِصددِ تحلِيلِهِ عن النّصِّ السّابِقِ، بِكونِهِ يُجسِّدُ البِنية الاِجتِماعِيّة بِشكل أكثر وُضُوحً مِن خِلالِ بُعدِهِ النّثرِيِّ المُتمثِّلةِ (لِصّ مُحترِف، حفلة التّعنِيفِ)، لِلإِيضاحِ هُنا هُو ليس لِصّ مُحترِف أنّما جاء بِهذا القمِيصِ الّذِي يعتقِدُ والِدُهُ أنّهُ سرقهُ مِن النُّقُودِ الّتِي جمعتها أُختُهُ لكِنّها أعطتهُ النُّقُود لِيشترِي القمِيص الأبيض لِغرضِ اخذِ صُورة عِند المُصوِّرِ الّذِي وعدهُ بِأخذِها، وبعد خلقِ الرِّوائِيِّ هذا العالم الاِجتِماعِيّ داخِل الرِّوايةِ وتصوِيرِهِ التّفاعُل الدّائِر بين الشّخصِيّاتِ حِرص على التّمِيزِ بين الفِعلِ الّذِي يُؤكِّدُ أنّ كمال تُوما قام بِالسّرِقةِ وبين الاِتّهامِ المُوجّهُ إِليهِ وهُو السّرِقةُ، إِليسُ النّظرةِ بِهذِهِ الصُّورةِ هِي تُمثِّلُ مِيزةً داعِمةً لِعُمقِ الأحداثِ وتسلسُلِها، فقد قام الرِّوائِيُّ بِصُنعِ قِصّة ثانوِيّة سابِقة وهِي السّرِقةُ مِن البائِعِ لِيُوهِم الأبُ فِي هذا النّصِّ أنّ كمال ابنِهِ قد سرق مرّةً ثانِيةً.

بعد ذلِك يطرحُ الرِّوائِيُّ المُقارنة بين الأغنِياءِ والفُقراءِ بِواسِطةِ شيخ ظاهِرُهُ رجُلُ دِين وباطِنُهُ غيرُ ذلِك تمامًا إِذ كان يأخُذُ الأطفال لِبيتِهِ ثُمّ يُعطِيهِم الطّعام والملبس مُقابِل قِيامِهِم بِالسّرِقةِ والنّصُّ المسرُودِ الّذِي سيأتِي هُو مُحاورة بين كمالِ تُوما وهذا الشّيخُ" فِي بغداد يُوجدُ أغنِياءُ ويُوجدُ فُقراءُ أيضًا، الأغنِياءُ لديهِم أموال كثِيرة ولا يسمحُون لِأحد بِالاِقتِرابِ مِنها، أمّا الفُقراءُ فلا يجِدُون حتّى الطّعامِ. واجِبُنا نحنُ أخذُ القلِيلِ مِن أموالِ الأغنِياءِ وإِعطاؤُهُ إِلى الفُقراءِ.

قاطعتُهُ بِسذاجة؟ نسرقهم، يعنِي؟ ارتجفت أطرافُ فمِهِ وقال بعدما رفع نبرة صوتِهِ قلِيلًا: استغفر اللّه، بُنِي نحنُ لسنا لُصُوصًا، نحنُ نستنقِذُ الحقّ لِأهلِهِ.. كما كان يفعلُ الأنبِياءُ مِن قبلُ".

(جرجيس، ٢٠٢٢،٧٢).

النّصُّ يستعرِضُ مُقارنةً بين الأغنِياءِ والفُقراءِ طرفًا من يخُوضُ هذا الحدِيث هُو الهارِبُ كمالُ تُوما (إذ صوّرهُ الرِّوائِيُّ هاهُنا على أنّهُ هرب ووصل بِهِ الحالُ إلى بغداد لِيصِل لِهذا البيتِ) وبين الشّيخِ، كانت هاتانِ الشّخصِيّتانِ هُما مِحورُ ما يدُورُ حولهُ النّصُّ وهذِهِ المُعالجةُ الّتِي قام بِها الرِّوائِيُّ أنا أن تكُون مُستقاةً مِن الواقِعِ العِراقِيِّ أو رُبّما مِن خيالِهِ لكِنّها لا تخلُو مِن الحِكمةِ الّتِي جمعت ما بين السّرِقةِ والحِرمانِ، ثُمّ يلفِتُ الِانتِباهُ مُراعاة الرِّوائِيِّ نمط الفِعلِ والقولِ وحتّى الفِكرِ إذ جعلهُ يعِيشُ مع الشّخصِيّاتِ وتتفاعلُ معها بل وتعِيشُ معها، ما عدا الصُّورة البائِسة الّتِي تُظهِرُ ما يُمكِنُ لِلحِرمانِ أن يُوصِل الطِّفلُ إلِيهِ والّتِي تجعلُهُ يُقبلُ بِالسّرِقةِ على أنّهُ فِعل لا بأس بِهِ كما يُصوِّرُها هذا الشّيخُ، وهُو ما لا يُمكِنُ أن نراهُ فِي واقِعِنا الحالِيِّ كون هذِهِ الشّخصِيّاتِ الّتِي كتبها الرِّوائِيُّ جاءت مِن محضِ واقِعِهِ التّجرِيبِيِّ لِلحياةِ، ثُمّ يذكُرُ الرِّوائِيُّ لفظة (اللِّصِّ) إذ جاء بِها على وزنِ فُعُول (لُصُوص) لِلإشارةِ لِلعددِ الكثِيرِ، مُستبقُ هذا الجمعِ بِكلِمةِ استغفر اللّه، إذ غالِبًا رجُلُ الدِّينِ يستبِقُ حدِيثهُ المُثِير لِلرِّيبةِ بِالِاستِغفارِ لِأجلِ الوُصُولِ لِحالةِ الإقناعِ التّامّةِ خاصّةً وأنّ الحدِيث مُوجّه لِطِفل صغِير (كمالِ تُوما)، وهذا النّصُّ الّذِي بين أيدِينا يُظهِرُ التّراتُبِيّة المُختلِفة فِي هذا العالمِ الرِّوائِيِّ سواء على مُستوى الأخلاقِ أو الحالةِ المُجتمعِيّةِ.

أنّ شخصِيّة هذا الشّيخِ تُقدِّمُ لنا صُورةً ثقافِيّةً بائِسةً لِرجُلِ الدِّينِ والرِّوائِيِّ أوصل ذلِك لكِن بِطرِيقة جِدًّا صادِمة وغيرِ مُتوقّعة، فأظهر جشعهُ ودفع الأطفال لِلسّرِقةِ، مُستغِلًّا ذلِك بِكُلِّ الطُّرُقِ حتّى فِي مُمارسات أُخرى غيرِ السّرِقةِ وهِي مُمارسات غيرُ أخلاقِيّة، لا يقبلُ بِها الدِّينُ الّذِي يدّعِي فِيهِ أنّهُ رجُلُ دِين.ثُمّ جاءت أوّل العملِيّاتِ الّتِي انضمّ إلِيها كمالُ تُوما وهِي سرِقةُ بيت واضِعًا الرِّوائِيّ حلقة النِّهايةِ على عُنُقِ كمالِ تُوما وجاءت كالآتِي " لحِقنا صاحِبُ الدّارِ وهُو يُنادِي: «حرامِي.. حرامِي.. حرامِي».. وبِخِفّة عجِيبة تمكّنُ صاحِبِي مِن الخلاصِ والقفزِ نحوُ ضِفّةِ الأمانِ، بينما كُنتُ فِي أثرِهِ حامِلًا صُندُوقُ المُجوهراتِ اللّعِينُ الّذِي غدا ثقِيلًا كقُنبُلة. اعتليتُ السِّياج بِهِمّة وإصرارُ لن أفشل هذِهِ المرّة، هذا ما جال فِي خاطِرِي وأنا أركُضُ هارِبًا أمام صاحِبُ المنزِلِ. لكِن ساقِي، قاتلها اللّهُ، عُلِقت بِشظِيّة مِن تِلك الشّظايا المُثبّتةِ بِخبث فِي الأعلى، وعرقلت هُرُوبِي. تمكّن الرّجُلُ مِن الإمساكِ بِطرفِها. سحبتها بِقُوّة مِنهُ، فجرحت وتمزّقُ السِّروالُ. نجحت فِي الإفلاتِ أخِيرًا، غير أنّي فشِلتُ فِي الحِفاظِ على عُلبةِ المُجوهراتِ الّتِي سقطت وانفرطت فِي حِضنِ صاحِبِها".

(جرجيس، ٢٠٢٢،٨٤).

أنّ البِنية الحِكائيّة لِهذا النّصِّ تقدّم كمالِ تُوما على أنّ فِعل السّرِقةِ عِندهُ معدُوم وبِسببِ هذا فقدُ عُلبة المُجوهراتِ الّتِي حاول مع صدِيقِهِ أخذها ليس هذا فحسبُ بل وجرحهُ قدمهُ وهُو يُحاوِلُ الهرب، مِمّا يطرحُ منظُورات مُتعدِّدةً تبدأُ مِن أوّلِ مراحِلِ بدءِ السّرِقةِ لِغرضِ سدِّ جُوعِهِ وُصُولاً لِلمُشاركةِ فِي السّطوِ على بُيُوتِ النّاسِ لِغرضِ توفِيرِ السّكنِ البائِسِ لهُ مِمّا يجعلُنا نرى عالم هذِهِ الرِّوايةِ عالِمًا مأساوِيًّا، يُساهِمُ فِي تعدُّدِ الرُّؤاياتِ الخاصّةِ أمام موقِفِنا النّقدِيِّ، وكأنّ الرِّوائِيّ يُحاوِلُ اقناعنا أن لا ذنب لِكمالِ تُوما فِي هذِهِ الأحداثِ، ثُمّ أنّ هذِهِ الرُّؤية المنظُور بِها لِلسّرِقةِ مِن قِبلِ الرِّوائِيِّ تكُونُ رُؤيةً داخِلِيّةً لِلحدثِ والشّخصِيّةِ أيضًا وفِي ازدِواجِها هذا تعرِّي الذّاتِ وتنتقِدُها وهِي تنظُرُ إِلى عجزِها.

الخاتمة :

١.بيّن البحثِ كيفِيّة اعتِمادِ الرِّوائِيِّ على أُسلُوبِ التّكرارِ عن طرِيقِ صوغِ الموتِ صِياغةً تجعلُ القارِئ يرى أنّ الاسى مُلازِم لِلشّخصِيّةِ الرّئِيسِيّةِ فِي صفحاتِ الرِّوايةِ وعلى اختِلافِ الأحداثِ وتنوُّعِها.

٢. عُرّف البحثُ مقصِد الرِّوائِيِّ مِن كِتابةِ رِوايتِهِ عن طرِيقِ وضعِ فِقرة تناولنا فِيها ظاهِرة التّنمُّرِ ثُمّ بيّانُ مدى تأثِيرِ هذِهِ الظّاهِرةِ على مُجرياتِ الأحداثِ، وقِيامِ الرِّوائِيِّ بِالوُقُوفِ عليها لِتحدِيدِ حجمِ الأسى ثُمّ إعطاءِ صُورة مأساوِيّة عن تأثِيرِ التّنمُّرِ على بِناءِ الشّخصِيّةِ.

٣. فسّر البحثُ ما تناولهُ الرِّوائِيُّ فِي موضُوعِ السّرِقةِ ثُمّ بيّن موقِف كمالِ تُوما والأسباب الّتِي يرى أنّها مُوجِبة لِكي يسرِق، بِالمُقابِلِ ما شاهدهُ مِن عِقاب جرّاء هذِهِ السّرِقةِ؛ إِذ لا يُساوِي ولا يُوازِي حجم ما سرقهُ.

٤.علّل البحث ما أراد الرِّوائِيُّ ايِّصالهُ مِن اختِيارِ الشّخصِيّةِ الرّئِيسِيّةِ الموت بل واختِيارِ القاتِلِ ثُمّ يتبيّنُ فِي خاتِمةِ الرِّوايةِ أنّ المانِع عن هذا الاِختِيارِ هُو فواتُ الفُرصةِ لِعدمِ استِيقاظِهِ مُبكِّرًا.

٥. تبيّن عن طرِيقِ البحثِ رسمُ الشّخصِيّاتِ بِدِقّة وإِبرازُ دوافِعِها ومشاعِرِها المُختلِفةِ. كما يُبرِزُ الواقِعُ المأساوِيُّ الّذِي عاشهُ البطلُ، كذلِك منهجُ الرِّوائِيِّ فِي بِناءِ الأحداثِ والإِيقاعِ السّرِدِيِّ، مع التّركِيزِ على الوصفِ النّفسِيِّ لِلشّخصِيّاتِ. وقد نجح فِي نقلِ المُعاناةِ بِأُسلُوب سلِس.

٦. بيّن البحثِ أنّ هذِهِ الرِّواية مِن أبرزِ السّرِدِيّاتِ التّارِيخِيّةِ المُهِمّةِ فِي الرِّوايةِ العِراقِيّةِ، وتُشكِّلُ شهادةً على مرحلة اجتِماعِيّة مِن مسِيرةِ العِراقِ، وسِجِلًّا لِشخصِيّةِ العِراقِيِّ المُتأثِّرةِ بِفوضى الدّمِ والمآسِي الّتِي مرّ بِها. لقد أدّت هذِهِ التّجارِبُ القاسِيةُ إِلى تحوُّلِ سردِ الرِّوائِيِّ مِن الجمالِيِّ إِلى السّرِدِ المأساوِيِّ، إِنّ مُستوى التّحوُّلِ الفِكرِيِّ فِي الرِّوايةِ جاء مِن خِلالِ وضعِ مشاعِرِ الفقدِ واليُتمِ إِلى جانِبِ

مشاعِرِ الوحدةِ الّتِي عانت مِنها الشّخصِيّةُ الرّئِيسِيّةُ كمالِ تُوما. وقد زاد الألمُ مع استِلامِ كمالِ تُوما نبأ وفاةِ العمِّ خلِيل. إذ وصف الرِّوائِيُّ ردّة فِعلِ كمالِ تُوما بِالفزعِ والبُكاءِ والعوِيلِ، وهِي مشاعِرُ تُناسِبُ من يفقِدُ أحد أقارِبِهِ أو أصدِقائِهِ.

٧. لقد ركّز البحثُ على وصفِ حالاتِ الآسى الّتِي انصدم بِها كمالُ تُوما، وأرفق ذلِك بِصِفاتِ الفزعِ والبُكاءِ والعوِيلِ؛ إذ هِي صِفات تتناسبُ مع من يفقِدُون أحِبّاءهُم. وعِند قِراءةِ هذا الرِّوايةِ نتذكّرُ كيف بدا الرِّوائِيُّ يُعبِّرُ عن شِدّةِ الأسى والشّفقةِ. إذ لا حدّ لِمشاعِرِ الحُزنِ عِند فقدِ الأحِبّاءِ.٨ورُبّما اختار الكاتِبُ كلِمة "فزع" بِطرِيقة سيكُولُوجِيّة؛ لِأنّ كمال تُوما كان يلجأُ دائِمًا إِلى عمِّهِ فِي حياتِهِ، فقد أصبح بِموتِهِ لا يعلمُ من يلجأُ إِليهِ، ولا شكّ أنّ الحالة النّفسِيّة لِكمالِ تُوما تختلِفُ بِاختِلافِ تجرِبتِهِ الحياتِيّةِ؛ إذ تربّى يتِيمُ الأُمّ وتعرّضُ لِلتّعنِيفِ مِن أبِيهِ، فلم يجِد المودّة إِلّا عِند عمِّهِ خلِيل. فموتُهُ أثر بِشكل كبِير فِي نفسِيّتِهِ الهشّةِ بِالفِعلِ. ويُمكِنُ القولُ إِنّ البُكاء والعوِيل لم يكفِيا لِلتّعبِيرِ عن حجمِ الكارِثةِ الّتِي لحِقت بِهِ بِموت آخر من يُحِبُّهُ ويعتمِدُ عليهِ.

٩.تمكّن الرِّوائِيُّ بِامتِياز مِن رسمِ صُورة واقِعِيّة وحيّة لِظاهِرةِ التّنمُّرِ المدرسِيِّ، مُستنِداً إِلى التّفاصِيلِ والحِواراتِ ورُدُودِ الأفعالِ، إذ تناوُلُ مُختلِفِ أبعادِ هذِهِ الظّاهِرةِ، عن طرِيقِ الطِّفلِ الضّحِيّةِ كمالِ تُوما، وعن طرِيقِ تعدُّدِ صُورِ التّنمُّرِ وأشكالِهِ داخِل وخارِجِ المدرسةِ، ربطُ التّنمُّرِ بِالظُّرُوفِ النّفسِيّةِ والاِجتِماعِيّةِ لِلطِّفلِ، مِثل تعرُّضِهِ لِلعُنفِ الأُسرِيِّ والإهمالِ. مِمّا جعل الاِنتِقام مِن الآخرِين آلِيّةً لِتخفِيفِ الضّغطِ، ثُمّ أكّد خُطُورة هذِهِ الظّاهِرةِ وتأثِيرها النّفسِيِّ والأخلاقِيّ على الأطفالِ. كما بين ضرُورةِ وضعِ حدّ لها مِن خِلالِ تغيِيرِ النُّظُمِ والسُّلُوكِيّاتِ التّربوِيّةِ، واستعمل لُغةً سردِيّةً وصفِيّةً متِينةً، تُجسِّدُ الحوادِث بِواقِعِيّة كبِيرة، ما يجعلُ القارِئ يعِيشُ تجرِبة التّنمُّرِ مع الطِّفلِ الضّحِيّةِ. ١٠. تناوُل البحثِ موضُوعُ التّنمُّرِ الّذِي تعرّض لهُ كمالُ تُوما وأخُوهُ رِيمُون مِن قِبلِ بعضِ الطُّلّابِ فِي الملعبِ، حيثُ كانُوا يسخرُون مِن تأتأةِ كمالِ تُوما عِند الكلامِ وأسنانِ أخِيهِ رِيمُون، وكانُوا يُطلِقُون عليهِ كِناية "أرنب" دُون أن يُدرِك معناها، ما أثار حيرتهُ وفُضُولهُ لِمعرِفةِ السّببِ، ويُبرِزُ البحثُ كيف أنّ هذا التّنمُّر لم يقتصِر على السُّخرِيةِ اللّفظِيّةِ بل تعدّاها لِيُصبِح إِطلاقُ لقب جارِح على الأخوينِ معًاً بِتسمِيتِهِما "فرِيقُ الأرانِبِ"، ما أظهر مدى قسوةِ هؤُلاءِ الأطفالِ المُتنمِّرِين وعدمِ اكتِراثِهِم بِمشاعِرِ ضحاياهُم، وقد أبرز البحثُ تعدُّد أشكالِ التّنمُّرِ الّتِي تتراوحُ بين السُّخرِيةِ اللّفظِيّةِ والتّهكُّمِ على المظهرِ أو النُّطقِ، ما يُلحِقُ الأذى النّفسِيّ بِالضّحايا ويُثِيرُ عِندهُم القلق وحيّرة الفهمِ كما هُو الحالُ بِالنِّسبةِ لِرِيمُون

١١. قدِم البحث بِدقّة ووضُوح الكثِير مِن الأحداثِ والتّفاصِيلِ، مُجسِّداً بؤس حالِ كمال تُوما وما آلت إِليهِ ظُرُوفُهُ مِن الفقرِ والحرمانِ، وقد أوضح الكاتِبُ بعداً نفسِيًّا لِفِعلِ السّرقةِ عِند كمال، وهُو

شعُورُهُ بِالرّغبةِ لإشباع حاجتِهِ، وليس إرادتُهُ السِّرقة مُنذُ البدايةِ، كما صوّر المجتمع الّذِي عاش فِيهِ كمال بِأبعادِهِ الاجتِماعِيّةِ والاقتِصادِيّةِ المُؤثِّرةِ على سُلُوكِهِ، ولعلّ هذِهِ الرُّؤية الدّاخِلِيّة الّتِي عرّضها الكاتِبُ لِلظُّرُوفِ الّتِي دفعت بِكمال إلى تِلك الأفعالِ، تُمكِّنُنا مِن فهمِ دوافِعِهِ والتّعاطُفِ معه؛ فالبحث بِهذِهِ الرُّؤيةِ حاول تفهِم ما دفع بِهِ إلى هذِهِ الأفعالِ، بعد أن عاش فِي بِئس وحرمان.

المصادر والمراجع :

- حجر السعادة، أزهر جرجيس، دار الرافدين _شارع المتنبي، ط٤، ٢٠٢٢.
- الوجود والموجود، مارتن هيدجرد، د. جمال محمد أحمد سليمان، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.
- المذاهب الوجودية من كيركجورد إلى جان بول سارتر، ريجيس جوليفيه، ترجمة : فؤاد كامل، دار الآداب– بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- اليات الكتابة السردية، امبرتو إيكو، ترجمة:سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩.
- ماهية الرواية، الطيب بوعزة، عالم الأدب، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠١٦.
- الاغتيال في الإسلام السياسي، هادي العلوي، دار المدى_ بغداد ، ط٥، ٢٠٠٨.
- نظرية الاختيار، مايكل ألينغهام، ترجمة :شيماء طن الريدي، مراجعة :محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٦.
- مختبر السرديات قراءات أكاديمية، مجموعة مؤلفين ترجمة د. عواطف نصيف السعدي، دار نينوى، ط١، ٢٠١٦.
- تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، محمد بوعزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠.
- علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، يان مانفريد، ترجمة :أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١.
- قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة : السيد أمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.
- طرائق تحليل السرد الأدبي (دراسات) ، مجموعة مؤلفين، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١، ١٩٩٢.
- الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور، ترجمة :سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٩.

Sources and references

- AlMuta nabbi –Rafidain -The Stone of Happiness, Azhar Zarzis, Dar Al ٤Street, ٢٠٢٢th edition.
- Being and Being, Martin Hedgerd, D. Jamal Muhammad Ahmed Suleiman, -Dar Al ٢٠٠٩Tanweer for Printing, Publishing and Distribution.
- Paul Sartre, Regis Jolivet, -Existentialist doctrines from Kierkegaard to Jean ١ut, Beir -Adab -translated by: Fouad Kamel, Dar Al ١٩٨٨st edition.
- Mechanisms of Narrative Writing, Umberto Eco, translated by: Saeed ١Hiwar for Publishing and Distribution, -Benkarad, Dar Al ٢٠٠٩st edition.
- -The nature of the novel, Tayeb Bouazza, The World of Literature, Cairo ١Egypt, ٢٠١٦n, st editio.
- Baghdad, -Mada -Alawi, Dar Al-Assassination in Political Islam, Hadi Al ٥ ٢٠٠٨th edition.
- Choice Theory, Michael Allingham, translated by: Shaima Ton AlRaidi, reviewed by: Muhammad Fathi Khadr, Hindawi Foundation for Education and ١Culture, ٢٠١٦edition, st.
- Narratives Laboratory, academic readings, a group of authors translated by Saadi, Nineveh Publishing House, .st edition, -Dr. Awatif Nassif Al ٢٠١٦.
- Narratology: An Introduction to Narrative Theory, Jan Manfred, translated ma, Nineveh House for Studies, Publishing and by: Amani Abu Rah ١Distribution, ٢٠١١st edition.
- Sayyid Imam, -Dictionary of Narratives, Gerald Prince, translated by: Al ١Merritt Publishing and Information, Cairo, ٢٠٠٣st edition.
- Narrative text analysis techniques and concepts, Muhammad Bouazza, Arab House of Science Publishers, 1st edition, 2010.
- Existence, Time, and Narrative (The Philosophy of Paul Ricoeur, translated ١Ghanimi, Arab Cultural Center, -by: Saeed Al ١٩٩٩st edition.